جـــــــــــامعة غـــــــــــرداية

كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة

قسم التاريخ

تاريخ وباء الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر

- 749 هـ/1348م -

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- طيباوي أم هاني
- مويسي تركية

إشراف الأستاذ :

د. طاهر بن علي

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

جـــــــــامعة غـــــــــــرداية

كليّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة

قسم التاريخ

تاريخ وباء الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر

- 749 هـ/1348م -

مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- طيباوي أم هاني
- مويسي تركية

إشراف الأستاذ :

د. طاهر بن علي

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

التوبة: الآية 115

الإهداء

إلى التي حملتني في بطنها وغمرتني بحنانها وصبرت وقاست وفرطت في حقها

وكانت سندا قويا لي من أجل هذه اللحظات: **أمي الحبيبة**

إلى الذي كان سببا في فرحتي وسعادتي صاحب الوجه الطيب: **أبي الغالي**

إلى توأم روحي ورفيقة دربي صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة: **أختي مباركة**

إلى زهرات حياتي وجوهرات قلبي أخواتي: **وداد ... رباب**

إلى سندي ودعمي الذي طالما أفتخر بوجودهم إخوتي: **العمري، محمد، جابر، يونس، إلياس، الهيثم**

إلى الغالية أختي **فتيحة** وزوجها **محمد روابح** وأولادهم: **أروى، زكرياء، فراس**

إلى جدتي: **زهرة، باية**

إلى خالاتي كل بإسمها وخاصة خالتي **ربيحة** وزوجها **أحمد** وأولادها: **مريم، بثينة، صهيب**

الى عمتي **فاطنة** وأولادها

إلى أخوالي وكل بإسمه وخاصة خالي **عمر** وزوجته **نصيرة** وأولادهم

إلى أعمامي: **عبد القادر، محمد**

إلى الكتاكيت الصغيرة: **محمد، وليد، طارق، عبد المعز، زهرة، ريثاء، مليكة، عبدالله مصطفى، يحيى، رحيل، أميمة، عبد الوهاب**

إلى رفيقة دربي ومشواري **طيباوي أم هاني**

إلى الأخت **زميت عائشة** وزوجها **مبروك** وأولادهم، إلى **زهرة وكلتوم زميت**

الى أعز صديقة ومهما فرقتنا المسافات واللقاءت **بن حامد الحاجة**

إلى كل من وسعه قلبي ولم تسعه صفحتي

تركية

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا **محمد صلى الله عليه وسلم**.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمار قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد... **والدي العزيز**

إلى التي بدفئها حضنتني وبفيض جناتها غمرتني، وإلى التي علمتني أن الشمعة لا تذوب، بل تذوب لتتوهج **أمي الحبيبة**.

إلى روح أختي الغالية رحمة الله عليها... **عزة**

إلى من له أكبر وعليه أعتمد...إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي، إلى من لوجوده أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها أخي **علي**... إلى من هم أقرب إلى روحي إخوتي: **محمد، بلال** ... إلى بهجة قلبي **هناء**

إلى من سار معي وساندني نحو العلم وكان معي خطوة بخطوة، إلى من أكن له مشاعر الحب والتقدير: **طيب دلاق**

إلى شمعات حياتي أخواتي: **مريم** وزوجها **حسين**، و**نوال** وزوجها **فاروق**، إلى من هم أقرب إلي في هذه الحياة بنت خالتي **خيرة** وبنت عمي **كلثوم**

إلى عمي وعمتي وجدتي رحمهم الله

إلى أختي التي لم تلدها أمي والتي تشاركني آلامي وأفراحي: **تركية**

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني ألا أضيعهم صديقاتي: **بني حامد الحاجة، دلة زينب، صفاء، ربيعة، نعيمة**

أم هاني

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا دروب العلم والمعرفة، وبفضله وتوفيقه أتممنا إنجاز هذا العمل، فاللهم لك الحمد والشكر.

يسعدنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأستاذنا الفاضل: الدكتور طاهر بن علي، الذي أشرف على رسالتنا، وقدم لنا نصائح وتوجيهات وإرشادات مهمة، فلك منا كل الاحترام والتقدير، مع تمنياتنا لك بدوام الصحة والعافية جزاك الله خيرا.

ولا يفوتنا أن نتقدم بعبارات الشكر والعرفان إلى كافة أساتذتنا كل باسمه ومقامه.

كما نتقدم بالشكر أيضا إلى كل طلبة دفعة ماستر تاريخ الغرب الإسلامي 2019-2020، مع شكرنا الخاص للزميل هروييني صالح لما قدمه لنا من مساعدة ومساندة خلال مراحل البحث.

تركية أم هاني

قائمة الرموز والمخنصرات:

الرمز	معنى الرمز
/	للفصل بين التاريخ الميلادي والتاريخ الهجري
N	عدد
p	صفحة
T	مجلّد
ت	توفّي
تح	تحقيق
تع	تعريب
تق	تقديم
ج	جزء
دت	دون تاريخ نشر
در	دون رقم
دط	دون طبعة
دع	دون عدد
دم	دون مكان نشر
ر	رقم
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري

المقدّمة

إنّ الدارس للتاريخ الإسلامي عموما، وتاريخ الغرب الإسلامي خصوصا، يجد أنّه شهد كغيره من بقاع العالم العديد من الأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية، مثل: السيول، والزلازل، والمجاعات، والطواعين، وغيرها. ومن الطبيعي أن يكون لهذه الأمراض والكوارث أثر مباشر على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والحضاري لهذه الدول.

ويُعتبر الطاعون من بين أخطر الأوبئة التي شهدتها بلاد الغرب الإسلامي على مدى تاريخها. وذلك لما يتّصف به من سرعة الانتشار وشدّة الفتك، إذ نجد له في مصادر الغرب الإسلامي ذكرا متكرّرا وآثارا معتبرة، بدءا من عهد الفتوحات إلى غاية الفترة الحديثة.

وبما أنّ بلاد العدوة الأندلسية جزء من رقعة الغرب الإسلامي، فقد شهدت هي الأخرى موجات متعدّدة من الطاعون على مدى ثمانية قرون من الوجود الإسلامي فيها. وربما كان أفتك طاعون شهدته بلاد الأندلس هو الطاعون الجارف، الذي اجتاح العالم ككل في منتصف القرن الثامن هجري.

وعلى ضوء ما سبق ارتأينا البحث في تاريخ الطاعون، لنكشف عن مصدره ومسبّباته، ونتائجه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على بلاد الأندلس خلال عهد بني الأحمر، فكان عنوان موضوعنا موسوما بـ:

تاريخ وباء الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر

– 749هـ/1348م –

أولا– حدود الدراسة:

- **الإطار المكاني:** يتحدّد بجغرافية الأندلس على عهد بني الأحمر، وهي الجغرافية التي تقلّصت عن مجموع بلاد الأندلس لتشمل غرناطة وما جاورها فحسب، وهي آخر مرحلة في حركة الاسترداد المسيحي، وآخر معقل للمسلمين المندثرين فيها.
- **الإطار الزماني:** يرتكز الإطار الزمانيّ لهذه الدراسة على سنة 749هـ/1348م باعتبارها السنة التي ظهر فيها الطاعون الجارف في الأندلس، ولم يكن قبلها أو بعدها موجات طاعون جديرة بالدراسة.

ثانيا– أسباب اختيار الموضوع:

- شغفنا بالتاريخ الاجتماعي والحضاري للغرب الإسلامي دفعنا إلى البحث عن الأحداث التاريخية التي أثّرت في المجتمع الأندلسي وغيّرت من معالمه، واخترنا عهد بني الأحمر لأنّه شهد أعنف طاعون في تاريخ الغرب الإسلامي.
- بساطة الموضوع، وخلوّه من التعقيد، خلافا للمواضيع السياسية والفكرية التي لا تتوافق مع ميولنا العلمية.
- دفعنا النقص الكبير في الدراسات التي تتناول تاريخ الأوبئة والأمراض والطواعين في بلاد الغرب الإسلامي عموما، وبلاد الأندلس خصوصا، إلى البحث في الموضوع ومحاولة الإلمام بجانب من جوانب تاريخ الطاعون وتأثيراته على بلاد الغرب الإسلامي.
- محاولة إثراء الدراسات التاريخية بموضوع جديد يتناول جانبا اجتماعيا مهمّا، وهو الموضوع الذي يُغفل عنه رغم أهميته وتأثيره الكبير في مسار تاريخ الغرب الإسلامي، خاصّة من الجانب الحضاري والاجتماعي.

ثالثا– إشكالية الموضوع:

من أجل البدء في جزئيّات البحث، كان لا بد من طرح إشكالية رئيسية وتساؤلات فرعيّة، نقوم بالإجابة عليها من خلال مباحث الدّراسة لنتمكّن في الأخير من الخروج بالنتائج المرجوة من البحث. وقد كانت الإشكالية الرئيسية كالآتي:

كيف اجتاح الطاعون الجارف بلاد الأندلس سنة 749هـ/1348م؟، وفيم تمثّلت تأثيراته على بلاد الأندلس من الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي؟

ثم أتبعنا الإشكالية الرئيسية بأسئلة فرعية كانت كالآتي:

- ما مفهوم الطاعون، وما المميّز الذي يميّزه عن باقي الأوبئة؟
- هل شهدت بلاد الأندلس موجات طاعون قبل عهد بني الأحمر؟
- بما تميّزت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية العامّة للأندلس على عهد بني الأحمر؟
- كيف كانت وضعية الطبّ، وما أشهر أطبّاء الأندلس على عهد بني الأحمر؟
- ما هي الأسباب المباشرة التي مكّنت الطاعون من اجتياح الأندلس؟

- كيف تعامل الأطبّاء الأندلسيون مع موجة الطاعون الجارف سنة 749هـ/1348م؟
- ما هي أهم الآثار الاجتماعيّة والاقتصادية والثقافية للطاعون الجارف على الأندلس في عهد بني الأحمر؟

رابعا– شرح خطّة الموضوع:

من أجل السير في دراستنا وحلّ الإشكاليات التي ذكرناها في العنصر السابق، قمنا باقتراح خطّة منهجية حاولنا فيها الإلمام بكل جوانب الموضوع، وتكوّنت خطّة موضوعنا من:

الفصل التمهيدي، وكان عنوانه: **الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر.** جعلناه في مبحثين. تناولنا في المبحث الأوّل تعريف الطاعون وأنواعه، وما يميّزه عن باقي الأوبئة. أمّا المبحث الثاني فقد خصّصناه لتناول تاريخ الطاعون قبل عهد بني الأحمر ابتداء من الفتح الإسلامي.

الفصل الأول، وكان عنوانه: **أوضاع الأندلس على عهد بني الأحمر.** وقد قسّمناه إلى ثلاثة مباحث. تناولنا في المبحث الأوّل الأوضاع الاجتماعية للأندلس في عهد بني الأحمر. وفي المبحث الثاني تناولنا الأوضاع الاقتصادية للأندلس في عهد بني الأحمر. أمّا المبحث الثّالث فقد تناولنا فيه أشهر الأطبّاء الأندلسيين ووضعية الطبّ عموما على عهد بني الأحمر.

الفصل الثّاني، وكان عنوانه: **اجتياح الطاعون للأندلس على عهد بني الأحمر.** وقد قسّمناه إلى ثلاثة مباحث. تناولنا في المبحث الأوّل أسباب دخول الطاعون إلى أرض الأندلس في عهد بني الأحمر. أمّا المبحث الثّاني فقد تعرّضنا فيه إلى موجة طاعون سنة 749هـ/1348م وكيف دخل وانتشر في الأندلس. أمّا في المبحث الثّالث، فقد تناولنا موقف الأطبّاء وكيف واجهوا موجة الطاعون، وما الحلول والعلاجات التي قدّموها للتصدّي له.

الفصل الثّالث، وكان عنوانه: **آثار الطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر.** قسّمناه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث. تناولنا في المبحث الأوّل الضحايا الأندلسيين الذين قضى عليهم الطاعون على عهد بني الأحمر. أمّا في المبحث الثاني فقد تناولنا فيه الآثار الاقتصادية والثقافية للطاعون على عهد بني الأحمر. أمّا المبحث الثالث فقد خصّصناه للحديث عن أهمّ الآثار الاجتماعية للطاعون على عهد بني الأحمر.

خامسا– أهميّة الموضوع:

- التعرّف على جانب مهمّ من جوانب الحياة الاجتماعية للأندلس، وكيف واجه المجتمع الأندلسي بعض الأزمات والكوارث التي حلّت به.
- تضيف لبنة جديدة في الدراسات الاجتماعية والحضارية لتاريخ الأندلس، خصوصها على عهد مملكة بني الأحمر، التي تعتبر آخر الممالك الإسلامية في الأندلس.

سادسا– أهداف الموضوع:

- إبراز دور وباء الطاعون في إضعاف المقوّمات الحضارية للمجتمعات، وكيف استطاع أن يؤثّر على الجانب الاقتصادي والثقافي والاجتماعي للأندلس على عهد بني الأحمر.
- عرض حيثيات طاعون يعتبر من أشدّ الطواعين التي شهدتها البشرية، وذلك لأنّه لم يقتصر على بلاد الغرب الإسلامي والأندلس فقط، بل شمل أغلب مناطق العالم.

سابعا– الدراسات السابقة:

لم نجد خلال مدّة البحث دراسة مطابقة لعنوان موضوعنا، إلّا أنّنا وجدنا العديد من الدراسات التي تناولت طاعون 749هـ/1348م في الغرب الإسلامي عموما، ولم تركّز على الأندلس فقط، ومن بين هذه الدراسات:

- أحمد السعداوي: "**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين الذي تلته القرنين 8–14/9–15م**"، وهو مقال علمي في مجلّة إيبلا تناول موجات الطاعون عموما في المغرب والأندلس خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وبعض تأثيراتها الاجتماعية والثقافية.
- رشيد يماني: "**تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة**"، وهو مقال في المجلّة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، تناول بعض الآثار الثقافية للطاعون على مملكة بني الأحمر.

ثامنا– المناهج المتبعة:

مثل أيّ دراسة تاريخية، قمنا في بحثنا هذا بالاعتماد على منهجين أساسيين في الدراسات التاريخية، وهما:

- **المنهج التاريخي:** والذي يعتمد بشكل أساسي على جمع المادّة الخبرية المبثوثة في المصادر، ومحاولة ترتيبها وتحليلها، ومقارنتها.
- **المنهج الوصفي:** واعتمدنا عليه بشكل جلي في سرد الأحداث ووصف موجات الطاعون وأسبابه ومواجهة الأطباء الأندلسيين له.

تاسعا– أهم المصادر والمراجع:

اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع، نذكر من أهمها:

- **المصادر:**

- لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**. حيث أفادنا هذا المصدر المهمّ في الترجمة للأطباء الأندلسيين، وكذلك مكّننا من الوصول لضحايا طاعون سنة 749هـ/1348م، في الأندلس.
- لسان الدين ابن الخطيب: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**. وقد أفادنا هذا المصدر في المادّة الخبرية المتعلّقة بأوضاع الأندلس على عهد بني الأحمر.
- لسان الدين ابن الخطيب: **مقنعة السائل عن المرض الهائل**. وقد أفادنا هذا المصدر في المادّة الخبرية المتعلقة بتعريف الطاعون وأسبابه، وكيف دخل إلى الأندلس.
- أحمد بن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/1369م): **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**. وقد أفادنا هذا المصدر في المادّة الخبرية المتعلّقة بأسباب الطاعون وأعراضه، والعلاجات التي قدّمها الأطبّاء الأندلسيون في سبيل مواجهته.
- محمّد بن علي اللخمي الشقّوري (ت بعد 776هـ/1374م): **النصيحة**. وقد أفادنا هذا المصدر في المادّة الخبرية المتعلّقة بالنصائح الوقائية والعلاجية التي قدّمها الأطبّاء الأندلسيون لمرضى الطاعون، وكذلك في أسباب الإصابة به.

- **المراجع:**
- يوسف شكري فرحات: **غرناطة في ظلّ دولة بني الأحمر**، وقد أفادنا هذا المرجع في فهم أوضاع مملكة بني الأحمر اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وساعدنا في الكثير من التحليلات.
- أحمد محمّد الطوخي: **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، وقد أفادنا هذا المرجع في جانب أوضاع مملكة بني الأحمر وتاريخها عموما.
- أحمد السعداوي: "**المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين الذي تلته القرنين 8-14/9-15م**"، والذي أفادنا بخصوص آثار الطاعون الاجتماعية على الغرب الإسلامي عموما.
- عبد الهادي بيّاض: **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/12-13 م)**، والذي أفادنا في بعض التأثيرات التي أحدثتها الكوارث على المجتمع الأندلسي.

عاشرا- صعوبات الموضوع:

اعترضتنا بعض الصعوبات أثناء إنجاز هذه الدراسة، ومن بين هذه الصّعوبات:

- قلّة المادّة الخبرية التي تناولت طاعون سنة 749هـ/1348م، من حيث مواجهة الأطبّاء له، وآثاره على المجتمع الأندلسي، ما جعلنا نعتمد بشكل أساسي على رسائل ابن خاتمة، وابن الخطيب، والشقّوري، إضافة إلى بعض المصادر والمراجع الأخرى.
- عدم الإلمام باللغات الأجنبية للنظر في المراجع، وخاصّة الإسباني منها، والتي نظنّ أنّها تناولت الموضوع بتفاصيل كثيرة.
- الظروف الراهنة في تفشّي وباء الكورونا، والذي منعنا من الاتّصال المباشر بالأستاذ المشرف، إذ وسائل الاتّصال لا تفي بالغرض، ولا يمكنها تعويض اللقاءات المبرمجة في الجامعة.

الفصل التمهيدي: الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر

المبحث الأول: مفهوم الطاعون

المبحث الثّاني: الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر

لقد تناولت المصادر والمراجع المختلفة مفهوم الطاعون وخصائصه، حيث نجد أنّ الطاعون والأوبئة ليسا ظاهرة وليدة في العصر الوسيط ولكنّها عُرفت في الحضارات والأمم القديمة، وبناء عليه ما مفهوم الطاعون وماهي أنواعه؟، وما أهمّ موجات الطاعون التي شهدتها الأندلس قبل عهد بني الأحمر؟.

المبحث الأول: مفهوم الطاعون

أولا– تعريف الطاعون لغة:

الطعنُ: القتلُ بالرّماح،[1] يُقالُ طُعِنَ الرجل فهو مطعون، وطَعين، إذا أصابه الطاعون،[2] والطاعون: الموت من الوباء والجمع الطّواعين،[3] وهو كذلك المرض العام،[4] والوباء الذي يفسُدُ لهُ الهواء فَتفسُدُ به الأمزجة والأبدان،[5] أو "هو الموت العام في جهة من الجهات يتحدّ في جنسه ويكون مخالفا للعادة في وقوعه"[6].

وقال الخليل بن أحمد (ت170هـ/786م): "الطاعون... كل مرض عام"[7]، بينما يعرّفه البعض بأنه: "الموت الذي كثر في بعض الأوقات كثرة خارجة عن المعهود"[8]، ويكون مرض الناس به مرضا

---

[1] أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، دون محقق، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994، ج13، ص267.

[2] أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري (ت370هـ/981م): **تهذيب اللغة**، تح: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ج2، ص 105. مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت606هـ/1209م): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمّد الطناحي، المكتبة العلمية، دط، بيروت، لبنان، 1979، ج3، ص 127.

[3] أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ/1003م): **الصحاح**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1987، ج 6، ص 2158. محمّد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ/1268م): **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمّد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، لبنان، 1999، ص 190.

[4] أبو الفضل عياض بن موسى (ت544هـ/1149م): **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح: يحي إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998، ج7، ص 132.

[5] ابن منظور: المصدر السابق، ج13، ص 267. مجد الدين ابن الأثير: المصدر السابق، ج3، ص 127.

[6] شمس الدين محمّد المنبجي (ت785هـ/1383م): **كتاب الطاعون وأحكامه**، تح: أحمد بن محمّد بن غانم آل ثاني، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2017، ص 230.

[7] الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت170هـ/786م): **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، بيروت، لبنان، دت، ج8، ص 418.

[8] أبو محمّد علي ابن حزم (ت456هـ/1064م): **المحلى بالآثار**، تح: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، دت، ج3، ص 403.

واحدا بخلاف سائر الأوقات فإن أمراض الناس مختلفة،[1] وإنّما سمّي الطاعون طاعونا لعموم مصابه وسرعة قتله.[2]

ثانيا– تعريف الطاعون إصطلاحا:

يعرّفه ابن سينا (ت428هـ/1037م)[3] بأنّه: كلّ ورم قتّال يظهر في الأعضاء الرّخوة كالآباط والأربية وخلف الأذن، يسيل دما، وينتقل إلى القلب عبر الشرايين فيحدث القيء والخفقان والغشي، وإذا اشتدت أعراضه قتل.[4]

ويميّز ابن سينا بين أنواع الطاعون وأماكن انتشاره فيقول: "وأسلم الطواعين ما هو أحمر ثم الأصفر والذي إلى السواد لا يفلت منه أحد، والطواعين تكثر في الوباء"[5]، فإذا كان الهواء وبائيّا، كان الطاعون أردى وأخطر.[6]

بينما يعرّفه آخر بأنّه: "ورم رديء قتّال يخرج معه تلهّب شديد مؤلم جدا يتجاوز المقدار في ذلك، ويصير ما حوله في الأكثر أسود أو أخضر، أو أكمد، ويؤول أمره إلى التقرّح سريعا. وفي الأكثر، يحدث في ثلاثة مواضع: في الإبط، وخلف الأذن، والأرنبة، وفي اللّحوم الرّخوة..."[7]، وهو شديد الألم

---

[1] أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ/1081م): **المنتقى شرح الموطأ**، دم، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1332، ج7، ص 198.

[2] بدر الدين العيني (ت855هـ/1451م): **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، لبنان، دت، ج14، ص 128-129.

[3] **الحسين بن عبد الله بن سينا (ت428هـ/1037م)**: فيلسوف وطبيب أصله من بخارى، له عدّة كتب مختلفة في الطبّ والفلسفة واللغة. خير الدين الزركلي: **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج2، ص241.

[4] الحسين بن عبد الله ابن سينا (ت428هـ/1037م): **القانون في الطب**، تح: محمّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ج3، ص 164-165.

[5] نفسه، ج3، ص 164-165.

[6] جمال الدين يوسف بن محمّد السرمري (ت776هـ/1374م): **كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون**، تعليق: شوكت بن رفقي، الدار الأثرية، ط1، عمان، الأردن، 2004، ص 25-26.

[7] شمس الدين محمّد بن أبي بكر ابن قيم (ت751هـ/1350م): **الطبّ النبوي**، تح: عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر، دط، بيوت، لبنان، دت، ص 30-31.

يصاب صاحبه بخفقان في القلب وقيء،[1] وحمّى، مع بروز قروح تخرج في المغابن قلّما يسلم منها المصاب،[2] وعادة ما ينتهي به الأمر إلى بصق الدم والصراخ حتى الموت.[3]

وعرّفه آخر بأنّه: "ورم رديء قتّال، بتلهّب عظيم، ويسودّ ما حوله ويخضرّ، ويحدث كثيرا في الإبط وتحت الأذن"[4].

بينما فسّره البعض بأنّه: "هيجان الدم وانتفاخه"[5]، والبعض بأنّه: "مرض قتّال غالبا من سبب مشترك"[6]، ولا يسمى الطاعون طاعونا إلا "إذا وقع الخراج في اللحوم الرخوة والمغابن وخلف الأذنين والأرنبة وكان من جنس فاسد"[7].

---

[1] شمس الدين الكرماني (ت786هـ/1384م): **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1937، ج21، ص 14. زكرياء بن محمّد بن زكرياء الأنصاري (ت962هـ/1555م): **منحة الباري بشرح صحيح البخاري**، تح: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ج9، ص 32.

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، دط، بيروت، لبنان، 1379، ج1، ص 149.

[3] حسام مختار العبّادي: **"وباء الطاعون في بلاد المشرق"**، ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، مكتبة الإسكندرية، دع، مصر، 2007، ص 260.

[4] شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد الذهبي: **الطبّ النبوي**، تح: أحمد رفعت البدراوي، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، لبنان، 1990، ص 266.

[5] مرعي بن يوسف الكرمي (ت1033هـ/1624م): **ما يفعله الأطبّاء والداعون بدفع شرّ الطاعون**، تقديم: خالد العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 2000، ص 38. زكرياء الأنصاري: المصدر السابق، ج4، ص 323.

[6] محمّد حسن: **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، اوربيس للطباعة، دط، تونس، 1999، ص 606.

[7] ابن سينا: المصدر السابق، ج1، ص 108.

أمّا في الطبّ الحديث فالطاعون مرض معد ينتقل من شخص لآخر[1] تسببه جرثومة خبيثة تسمّى ييرسينيا بيستيس Yersinia Pestis. كانت هذه الجرثومة في الأصل تصيب الفئران، ثم وُجدت في 230 نوعا من القوارض البريّة،[2] وانتقلت إلى البشر عن طريق البراغيث.[3]

الملاحظ من التّعريفات السّابقة أن أغلبها فسّرت الطاعون بآثاره المتمثّلة في القروح والأورام والجراحات، وذلك لأنّ الأطبّاء في العصر الوسيط لم يدركوا حقيقة الطاعون فاضطرّوا إلى تفسيره بأثره الظاهر.[4]

ثالثا– أنواع الطاعون:

1– الطاعون الدُّبَلي أو العُقَدي أو الدَّملي[5]: يعدّ من أكثر أنواع الطاعون انتشارا.[6] ينتقل إلى الإنسان بشكل مباشر عن طريق الاستنشاق خلال مخالطة مريض مصاب.[7] سمّي بهذا الاسم لأنّه يكوّن بقعا من الدم تحت الجلد، تؤدّي إلى انتفاخ الغدد اللمفاوية، وفي مراحل العدوى المتقدّمة تتحوّل هذه العُقد إلى قُرحات مفتوحة مليئة بالقيح. ويمكن أن يتطوّر الطاعون الدُّبلي وينتشر إلى الرئتين،[8] ولا تستمر الإصابة به طويلا، لكنّ نسبة الوفاة به عالية جدا.[9]

تبدأ أعراضه برعشة يتبعها قيء ودوّار، مع أرق وآلام في الظهر، وحساسيّة ضدّ الضوء، وقد يصحبه هذيان أيضا. ثم ترتفع حرارة المصاب به لأربعين درجة أو أكثر. ومن المعتاد أن يصاب صاحبه

---

[1] مجموعة من العلماء: **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999، ج27، ص 48.

[2] بيدرو آتشا، بريس تسيفيرس: **الأمراض الحيوانية المصدر والأمراض السارية المشتركة بين الإنسان والحيوانات**، تع: حسين عبد الرزاق الجزائري، منظمة الصحة العالمية إقليم الشرق الأوسط، ط3، القاهرة، مصر، 2006، ج1، ص 316–322.

[3] خوليو قالديون باروك: المرجع السابق، ص 254. مجموعة من العلماء: المرجع السابق، ج 18، ص 226.

[4] ابن القيم: المصدر السابق، ص 31.

[5] سمية مزدور: **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588–927 هـ/ 1192–1520 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: محمّد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص 21.

[6] مجموعة من العلماء: المرجع السابق، ج15. ص 483.

[7] بيدرو آتشا، بريس تسيفيرس: المرجع السابق، ج1، ص 323.

[8] منظمة الصحة العالمية: **"الطاعون"**، موقع منظمة الصحة العالمية، www.who.int/features/qa/plague/ar، تاريخ الإبحار: 9 فيفري 2020، الساعة 11:00 صباحا.

[9] مجموعة من العلماء: المرجع السابق، ج15، ص 483.

بالإمساك، أما الإسهال فعلامة على قرب موت المريض. وأوضح علامة تظهر مع الطاعون الدبلي، البروز المبكّر للعقد اللمفاوية التي تتوزّع عادة في أصل الفخذ والإبط.[1]

2– الطاعون الرئوي: يعتبر أشدّ أنواع الطاعون فتكا،[2] يصيب الرئتين، ويبدأ بالتهاب فيهما، ثم يتبعه امتلاؤهما بسائل. وعادة ما تحدث الوفاة به خلال ثلاثة أيّام أو أربعة.[3] تنتقل العدوى به بين الأفراد عن طريق الرذاذ.[4]

3 – طاعون تعفّن الدم: يعرف أيضا في الطبّ الحديث بطاعون الإنتان الدّموي ويطلق عليه اسم "Septicenic".[5] تغزو فيه البكتيريا تيّار الدم، قبل بروز الشكل اللّمفاوي أو الرئوي.[6] تتطوّر أثناءه أعراض عصبية ومخيّة بشكل سريع جدا، ويقتل في مدّة لا تتجاوز ثلاثة أيّام، يصاب صاحبه برعاف،[7] وانهيار في الجسد وتلف في الدماغ.[8]

رابعا – ما يميز الطاعون عن الوباء:

لقد خلطت الكثير من المصنّفات التاريخية بين الطاعون والوباء،[9] ولما كان الطاعون يكثر في الوباء وفي البلاد الوبيئة عُبِّر عنه بالوباء،[10] كما قال الخليل بن أحمد: "الوباء: الطاعون"[11].

---

[1] ابن حجر: **بذل الماعون في فضل الطاعون**، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، دط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دت، مقدمة المحقق، ص 23.

[2] منظمة الصحة العالمية: المرجع السابق.

[3] ابن حجر: بذل الماعون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 24.

[4] منظمة الصحة العالمية: المرجع السابق.

[5] سمية مزدور: المرجع السابق، ص 22

[6] ابن حجر: بذل الماعون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 24.

[7] بيدرو آتشا، بريس تسيفيرس: المرجع السابق، ج1، ص 323.

[8] ابن حجر: بذل الماعون: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص 24.

[9] محمّد حسن: المرجع السابق، ص 606.

[10] ابن القيم: المصدر السابق، ص 31.

[11] الفراهيدي: المصدر السابق، ج8، ص 418.

ولكنّ الحقيقة أنّ بين الطاعون والوباء تغايرا وأنّ الطاعون أخصّ من الوباء،[1] لأنّ الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعمّ من الطاعون،[2] فهو يشمل جميع الأمراض المعدية كالجذام والجدري والحصبة والتيفوئيد وغيرها،[3] أمّا الطاعون فهو مرض خاصّ عُبِّر عنه بالقروح الخارجة في الجسد، ويمكننا أن نعتبر أنّ كلّ طاعون وباء، وليس كلّ وباء طاعونا،[4] وهذا ما أيّدته المصادر وذهب إليه الكثير من الناس وأهل اللغة.[5]

المبحث الثّاني: الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر:

إنّ أوّل إشارة للطاعون والوباء في بلاد الأندلس نجدها عند ابن عذاري (ق7هـ/13م) في سنة 128هـ/746م، إذ يقول: "ثم أتبع الله الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية، حتى كاد الخلق أن ينقرض منها."[6].

ثمّ سنة 139هـ/756م والتي فيها "وقع الوباء والطاعون بإفريقية سبع سنين، لا يكاد يرتفع إلا مرّة في الشّتاء ومرّة في الصّيف"[7].

لم يذكر ابن عذاري في هذا النص أنّ الطاعون قد دخل بلاد الأندلس، ولكنّ طول المدّة التي عمّ فيها الطاعون إفريقية وهي سبع سنين يجعلنا نجزم بدخوله الأندلس، لأنّه من غير المعقول أن يستمرّ الطاعون كلّ هذه المدّة في إفريقية ثمّ لا يكون له تأثير ولو بسيط على بلاد الأندلس.[8]

---

[1] زكرياء الأنصاري: المصدر السابق، ج9، ص 32. ابن حجر: بذل الماعون: المصدر السابق، ص 103.

[2] سمية مزدور: المرجع السابق، ص 21

[3] السرمري: المصدر السابق، مقدّمة المحقق، ص 12. وسمية مزدور: المرجع السابق، ص 22.

[4] ابن حجر: بذل الماعون، المصدر السابق، ص 104. عياض: المصدر السابق، ج7، ص 132.

[5] محمّد مرتضى الزبيدي (1205هـ/1791م): **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، دط، الكويت، 1965، ج1، ص 478. المنبجي: المصدر السابق، ص 177

[6] ابن عذاري المراكشي (ق7هـ/13م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983، ج2، ص 37.

[7] نفسه، ج1، ص 60.

[8] عيد صباح حمدان المناجعة: **المجاعات والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (92–897 هـ/ 711–1492 م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف: محمّد نايف العمايرة، جامعة مؤتة، الأردن، 2014، ص 63.

ثمّ يذكر لنا مصدر آخر أنّه في سنة 213هـ/828م: "كان قد حلّ بالمسلمين وباء شديد... هلك فيه كثير منهم، وهلك فيه أميرهم أسد بن الفرات"[1].

وبعد حوالي قرن ونصف، وبالتحديد في سنة 260هـ/874م، حدثت المجاعة والطاعون في بلاد المغرب والمشرق والأندلس ومعها غلاء شديد.[2] يقول صاحب روض القرطاس عن هذا الطاعون: "وفي سنة ستّين ومائتين عمّ الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية ومصر وبلاد الحجاز كلّها حتّى رحل الناس من مكّة إلى الشام وبقيت مكّة خالية ليس بها إلاّ نفر يسير وسدنة الكعبة فبقيت كذلك مدّة وكان فيها ببلاد المغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء السعر وعدم الأقوات فمات فيها خلق كثير"[3].

ثمّ حدثت في سنة 288هـ/901م في الأندلس والمغرب مجاعة ووباء مهول. أكل الناس فيه بعضهم بعضا، وهلك فيه خلق لا يحصى كانوا يدفنون في قبر واحد من غير غُسل ولا صلاة.[4]

ثمّ عاد الطاعون إلى بلاد الأندلس وما جاورها سنة 303هـ/916م،[5] فقتل العديد من علمائها،[6] وكثر في أهل الفقر والحاجة، حتّى كان من الصعوبة دفنهم.[7] وارتفعت الأسعار، وعمّ القحط

---

[1] أبو الحسن عزّ الدين ابن الاثير (ت633هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج5، ص 491.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 116. وشهاب الدين أحمد الناصري السلاوي(ت1315هـ/1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمّد الناصري، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج1، ص 236. عز الدين ابن الأثير: المصدر السابق، ج6، ص 319.

[3] ابن أبي زرع (ت726هـ/1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، دط، أوبسالة، السويد، 1843، ص 60.

[4] مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص 200.

[5] ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص 173.

[6] عبد الله بن محمّد ابن الفرضي(ت403هـ/1113م): **تاريخ علماء الأندلس**، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1988، ج1، ص 38-39-183-184.

[7] ابن عذاري: المصدر السابق، ج2، ص 167-168.

سائر البلاد،[1] وكانت محنة قاسية شديدة الوطأة على أهل الأندلس. ولضيق الأحوال في هذا العام لم تكن فيه غزوة.[2]

ثمّ في سنة 307هـ/919م، شهدت بلاد المغرب والأندلس رخاء مفرطا يقابله وباء كثير وطاعون،[3] يقول عنه صاحب كتاب الاستقصا: "وفي سنة سبع وثلاثمائة كان بإفريقية والمغرب والأندلس رخاء مفرط وطاعون ووباء كثير وفيها كانت الريح السوداء الشديدة الهبوب التي قلعت الأشجار وهدمت الدور بفاس فتاب الناس ولزموا المساجد وارتدعوا عن كثير من الفواحش"[4].

تذكر المصادر أنّ سنة 344هـ/955م، شهدت وباء عظيما بالمغرب والأندلس هلك فيه أكثر الخلق.[5] كما تذكر المصادر أيضا أنّ وباء كان بإفريقية سنة 395هـ/1005م، تعطّلت له المخابز والحمّامات، وكان يموت به كل يوم ما بين 500 إلى 700 شخص.[6]

وفي سنة 401هـ/1011م، نجد أنّ بعضا من أهل الأندلس ماتوا بالطاعون،[7] ثم حدث قحط ووباء آخر في الأندلس سنة 448هـ/1056م مات فيه عدد كبير حتى "أنّ المساجد بقيت مُغلقة ما لها من يصلّي بها. ويُسمّى عام الجوع الكبير"[8].

---

[1] محمّد عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1997، ج1، ص 378.

[2] ابن عذاري: المصدر السابق: ج2، ص 167-168.

[3] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 61.

[4] السلاوي: المصدر السابق، ج1، ص 248.

[5] نفسه، ج1، ص 249. وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 62.

[6] عز الدين ابن الأثير: المصدر السابق، ج7، ص 540.

[7] أبو القاسم ابن بشكوال (ت578هـ/1182م): **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1955، ص 29. ابن حزم: **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987، ص 259.

[8] الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1993، ج30، ص 25.

وتتوالى الطواعين على بلاد الأندلس في تواريخ مختلفة، منها سنة 451هـ/1059م،[1] ثمّ عموم القرن السادس الهجري الذي شهدت فيه الأندلس موجات كثيرة من الطاعون حتّى كتب الناس فيه شعرا، منها بيت شاعرة قالت عن مدينتها شلب[2]:

"شلب كلا شلب وكانت جنّة... فأعادها الطاعون نارا حاميه"[3].

ومن موجات الطاعون في هذا القرن كذلك نجد: سنة 526هـ/1132م التي فيها "اشتدّت المجاعة والوباء بالناس بقرطبة، وكثر الموتى، وبلغ مدُّ القمح خمسة عشر دينارا"[4]. ثمّ سنة 542هـ/1147م، وسنة 571هـ/1176م.[5] ثمّ شتاء سنة 594هـ/1198م،[6] وسنة 610هـ/1213م التي فيها "كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس"[7]. وفي سنة 635هـ/1238م "اشتدّ الغلاء والوباء في العدوة فأكل الناس بعضهم بعضا، وكان يُدفن في الخريف الواحد المائة من الناس"[8].

ممّا سبق يتّضح لنا أنّ الطاعون مرض معد وقاتل، سريع الانتشار، ومسبّب لاضطرابات كثيرة في جسم الإنسان، ويتضّح لنا أيضا أنّه نوع من أنواع الأوبئة، وليس مرادفا لها.

كما نستنتج أنّ بلاد الأندلس شهدت موجات متعدّدة وكثيرة للطّاعون منذ الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر، ممّا يدلّ على أنّها بلد معرّضة للطّاعون، ولم يكن ظهوره فيها خلال عهد بني الأحمر وما بعده فقط.

---

[1] ابن بشكوال: المصدر السابق، ص 167.

[2] **شلب**: تقع في الأندلس قرب مدينة باجة. أبو عبد الله الحميري (ت900هـ/1495م): **صفة جزيرة الأندلس**، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1988، ص106.

[3] أبو عبد الله محمّد المراكشي(ت703هـ/1304م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2012، ج5 ص 428.

[4] أبو الحسن ابن القطان المراكشي(ت628هـ/1231م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، دم، 1990، ص 226.

[5] عز الدين ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 154. عنان: المرجع السابق، ج4، ص 94-95.

[6] أبو عبد الله محمّد المراكشي: المصدر السابق، ج4، ص 437.

[7] ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص 181.

[8] نفسه، ص 183.

الفصل الأوّل: أوضاع الأندلس على عهد بني الأحمر (635-897هـ/1238-1492م)

المبحث الأوّل: الأوضاع الاجتماعية للأندلس على عهد بني الأحمر

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للأندلس على عهد بني الأحمر

المبحث الثالث: وضعية الطبّ في الأندلس على عهد بني الأحمر

قبل أن نتطرّق إلى دخول الطاعون إلى الأندلس في منتصف القرن الثامن هجري لا بدّ لنا أن نتعرّف على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمملكة بني الأحمر[1] عموما والبحث في وضعية الطبّ وأشهر الأطبّاء في تلك المرحلة، وهذا ما يعطي لنا نظرة وصورة تساعدنا في معرفة حجم الأضرار والتغيّرات التي أحدثها الطاعون على بلاد الأندلس، فبماذا تميّزت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأندلس على عهد بني الأحمر؟ وكيف كانت وضعية الطبّ فيها؟

المبحث الأوّل: الأوضاع الاجتماعية للأندلس على عهد بني الأحمر

أولا – التركيبة السكانية لمملكة بني الأحمر:

أدّى تعرّض كل من المدن الأندلسية كجيّان،[2] وبلنسية،[3] وإشبيلية،[4] ومرسية،[5] وغيرها، للسقوط على يد النصارى، أدّى هذا إلى توافد كبير للمسلمين المهاجرين إلى مملكة غرناطة.[6] وتتكوّن تركيبة سكّان الأندلس خلال عهد بني الأحمر من العرب الشاميين والبلديين، يقول لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م): "فلمّا استقرّ الفتح، وبلغ حيث بلغ من التخوم، سكنت العرب الأقطار،

---

[1] **مملكة بني الأحمر (دولة بني نصر)**: تنسب دولة بني الأحمر إلى الغالب بالله أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن نصر بن قيس الخزرجي، الذي تمكّن من السيطرة والنفوذ على جيان ووادي آش سنة 633هـ، ودخل غرناطة سنة 634هـ، وكانت مملكة بني الأحمر تمتدّ من جيان، حتى ألمرية، وقد استمرت مملكة بني الأحمر حتّى سنة 897هـ عندما أسقطها النصارى الإسبان واستولوا على جميع الأندلس. يوسف شكري فرحات: **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص19-20-53.

[2] **جيان**: مدينة تقع في الأندلس متصلة بكور إلبيرة، وهي كورة كبيرة فيها مدن كثيرة، تبعد على قرطبة ب 17 فرسخا. ياقوت الحموي (ت574هـ/1178م): **معجم البلدان**، دون محقق، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1995، ج2، ص195.

[3] **بلنسية**: مدينة تقع في الأندلس، تتوسّط مدينتي مرسية وطرطوشة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص47.

[4] **إشبيلية**: تقع في الأندلس وتعدّ من أكبر مدنها، بناها عبد الرحمن الأوسط. نفسه، ص18.

[5] **مرسية**: مدينة تقع في الأندلس، بناها وأسّسها الأمراء الأمويون. نفسه، ص181.

[6] **غرناطة**: مدينة تقع في الأندلس، تبعد على وادي آش أربعين ميلا، وهي من أقدم مدن كور إلبيرة، وإسم غرناطة معناه الرمّانة باللغة العجمية الأندلسية. نفسه، ص23. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص195. أحمد محمّد الطوخي: **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، مصر، 1997، ص70.

وتبوّأت الديار... فالداخلون مع موسى وطارق يسمَّون بالأندلس بالبلديين، والداخلون مع بشر يسمَّون بالشاميين"[1].

كما نجد أنّ البربر، الذين استقرّوا في مرتفعات رندة،[2] ومالقة،[3] وسفوح جبل شيلر، وعدد منهم شكّل الجيش الغرناطي. وكان ضمنهم أيضا العناصر السودانية،[4] كيحيى بن إبراهيم بن يحيى، وأيضا بعضا العجم من سمرقند، وتبريز، وخراسان.[5]

أمّا نسب سكّان مملكة بني الأحمر فإنّه يرجعُ غالبيّتهم إلى النسب العربي، وهناك من يعود فيهم إلى أنساب البربر والمهاجرين كثيرا، ومن هنا يمكننا أن نقول بأنّ العنصر الغرناطي كان امتدادا للعنصر الذي قبله ألا وهو العنصر الأندلسي.[6]

أمّا خصائصهم الجسمانيّة، فيصفها ابن الخطيب بأنّ: "صورهم حسنة، معتدلة أنوفهم، بيض ألوانهم، مسودّة غالبا شعورهم، متوسّطة قدودهم، فصيحة ألسنتهم، عربية لغاتهم، يتخلّلها عرف كثير، وتغلب عليها الإمالة، وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات"[7].

---

[1] أبو عبد الله محمّد لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م): **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح: محمّد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي، ليبيا، 2009، ص49.

[2] **رندة**: مدينة قديمة تقع في الأندلس، قرب نهر يسمى بنهر رندة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص79.

[3] **مالقة**: مدينة من مدن الأندلس، سكنها العرب، مطلّة على شاطئ البحر، يقع سورها بين ألمرية والجزيرة الخضراء. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص43.

[4] ابن الخطيب: **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1937، ج4، ص427. أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص71. رياض أحمد عبيد العاني: "الأحوال العامة في مملكة غرناطة (635-897 هـ/ 1237-1492م)"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، مج17، ع9، العراق، تشرين الأول، 2010، ص355.

[5] شمس الدين محمّد بن عبد الله ابن بطوطة (ت779هـ/1377م): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، الرباط، المغرب، 1997، ج4، ص227.

[6] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص63. أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص72.

[7] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، نفسه.

ثانيا – الطوائف الدينية في مملكة بني الأحمر:

يذكر لسان الدين ابن الخطيب في وصف الأندلسيين ومذهبهم خلال عهد بني الأحمر، فيقول أنّ: "أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنيّة، والأهواء والنحل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية"[1].

وبالنسبة لطوائفهم الدينية فنجد بعض الروايات في المصادر تتحدّث عن وجود بعض المتصوّفة في غرناطة، حيث كان لهم شيخ ورباط خارج غرناطة، يسمّى برابطة العقاب.[2]

كما أنّه كان للنصارى دور بارز في عهد بني الأحمر، من خلال التجار الذين استقرّوا في المناطق الحدوديّة، وأعطوا لحركة المرافئ نشاطها وساهموا في حركتها ومن بينهم المسافرون والجنود الذين كانوا حرّاسا للملك الغرناطي.

وقد وُجد أيضا اليهود في مملكة غرناطة، وكانوا يعاملون معاملة سمحة من طرف ملوك بني الأحمر ومحافظين على حريتهم الدينية، وعوملوا كسائر أهل الذمّة، ممّا جعل ملوك بني الأحمر يضعون عليهم أعينا ترصدهم لعدم قيامهم بأيّ تجاوزات أو تمرّدات معادية لحكمهم.[3]

وقد كان اليهود في عهد بني الأحمر يجتمعون في أحيائهم المنفصلة عن المسلمين،[4] وفيها معابدهم وحمّاماتهم، التي تمتاز بالأزقّة الضيقة والمساكن الصغيرة الحجم،[5] وفي لباسهم بشارة تميّزهم عن غيرهم.[6]

ثالثا – اللباس والمرأة في مملكة بني الأحمر:

أمّا لباس الأندلسيين على عهد بني الأحمر فقد كانوا يلبسون الثياب الرفيعة،[7] وأغلبها من الملف المصبوغ في الشتاء، والكتّان والحرير والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة في الصيف،[8]

---

[1] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص63.

[2] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص227.

[3] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، ص ص 93-98.

[4] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص145.

[5] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، ص98.

[6] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص110.

[7] شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري (ت749هـ/1348م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، دون محقق، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423، ج4، ص231.

[8] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص134-135. اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص64.

والنعال المصنوعة من الحلفاء، ويسمّونها بالبلغة.[1] ولا تجد فيهم من يمشي دون طيلسان.[2] أمّا العمائم "فأهل الأندلس لا يتعمّمون"،[3] إلا بعض شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم.[4]

وقد تأثّر سلاطينهم وجنودهم في لباسهم بالنّصارى المجاورين لهم،[5] كما تأثّروا بهم أيضا في الكثير من عاداتهم وأحوالهم، كرسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت.[6]

ويذكر المؤرخون أنّ أهل الأندلس "أشدُّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم. وفيهم من لا يكون عنده إلاّ ما يقوته يومه، فيطويه صائما ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه".[7] وكانوا "يتعهّدون شعورهم بالتنظيف والحنّاء"[8]. واشتهرت في عصرهم الحمامات، ومنها حمّام أبي العاصي،[9] وحمّام الخندق بألمرية.[10]

أمّا المرأة الأندلسية فقد وصفها ابن الخطيب بـ "اعتدال الحسن، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفّة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المجاورة، إلّا أنّ الطول يندر فيهنّ، وقد بلغن من التفنّن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بين المصبغات، والتنافس في الذهبيات والديباجيات،

---

[1] أبو عبد الله المراكشي: المصدر السابق، ص495.

[2] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج1، 223.

[3] نفسه، ج4، ص231.

[4] ابن الخطيب، اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص64.

[5] شهاب الدين أحمد بن محمّد المقري (ت1041هـ/1632م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج1، ص223.

[6] عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون (ت808هـ/1405م): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ص184.

[7] المقري: المصدر السابق، ج1، ص223.

[8] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص231.

[9] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص483.

[10] **ألمرية**: مدينة تقع في ساحل الأندلس، فيها مرفأ وميناء للسفن، وكان يقبل عليها التجّار من كلّ مكان. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص161.

والتماجن في أشكال الحلي إلى غاية بعيدة".[1] وقد عاشت المرأة الأندلسية في حرية نسبية، وكان مسموح لها بالذهاب إلى الحمامات العامّة، والأسواق.[2]

رابعا – العادات والتقاليد في مملكة بني الأحمر:

أمّا بالنسبة لعادات وتقاليد المجتمع الأندلسي على عهد بني الأحمر، فقد كان الغناء منتشرا بينهم حتّى داخل دكاكينهم.[3] وكانت بعض الأسر تخرج لتتنزّه في الحمراء.[4] كما أنّهم كانوا يحتفلون بأعيادهم الإسلامية إضافة إلى لأعياد الموسمية كعيد العصير.[5] الذي يحتفل به الأندلسيون كلّ سنة عند جني محصول العنب،[6] ويذكر ابن الخطيب في رحلته أنّ أهل مدينة برشانة[7] كان لهم عيد يحتفلون به يخرج فيه كبارهم وصغارهم. وكذلك عيد القنصرة (سان خون) في الرابع والعشرين من شهر جويلية من كلّ عام، حيث يعتبر عيدا لدى الأندلسيين ومظهرا من مظاهر مشاركتهم المسيحيين في أعيادهم.[8]

أمّا الآفات الاجتماعية، فقد كان بعض الأندلسيون منغمسون في ملذّاتهم وشهواتهم واللهو بالنساء المطربات،[9] وكان منهم من يشربون الخمر، ويتعاطون الحشيش.[10]

---

[1] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص66.

[2] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص93.

[3] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، المصدر السابق، ص65.

[4] مؤلف مجهول: **نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر**، تح: محمّد رضوان الداية، دار إحسان، ط1، دمشق، سوريا، 1404، ص39.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص139.

[6] أحمد مختار العبادي: **"الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية"**، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع6، بغداد العراق، دت، ص21.

[7] **برشانة:** هو عبارة عن حصن في الأندلس مبني بين نهرين، يعدّ من أكثر الحصون عمارة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص42.

[8] ابن الخطيب: **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف**، ضمن: رحلات ابن الخطيب، تح: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2003، ص41. أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص21-22.

[9] مؤلف مجهول: نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، المصدر السابق، ص45.

[10] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص195. أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص103.

أمّا الغذاء عند الأندلسيين فغالبيّته من الذرة والزيت، والبرّ الطّيب.[1] لهذا كان أهل الأندلس "من ذكاء العقول وخفّة الأجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم".[2] وقد كان الطبخ على عهد بني الأحمر متنوّعا تلتقي فيه عدّة أصناف عربية وبربرية وأوروبية متنوّعة.[3]

المبحث الثّاني: الأوضاع الاقتصادية للأندلس على عهد بني الأحمر

أولا – الزراعة في مملكة بني الأحمر:

لقد كانت الحياة الاقتصادية للأندلس على عهد بني الأحمر مزدهرة على العموم رغم تذبذبها أحيانا وذلك لأسباب عدّة،[4] وأهمّ ما كان يدعّم الاقتصاد الأندلسي هو اهتمام الأندلسيين بالزراعة،[5] إذ سيطرت مملكة بني الأحمر على موروث زراعي هام،[6] حتّى قيل أنّ أهلها "أحكم الناس لأسباب الفلاحة"،[7] إضافة إلى تربية المواشي والخيول والبقر والنحل والطيور،[8] ومعرفة أحوال الجو.[9]

امتازت أرض الأندلس "بأوضاع بديعة، وبساتين رائقة، وجنّات لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء، والإشراف على الأرجاء".[10]

يقول صاحب الروض المعطار في وصفها: "أطيب البقاع بقعة، وأكرم الأرضين تربة، لا يعدل به مكان غير غوطة دمشق وساحة الفيّوم، ولا يُعلم شجرة تستعمل وتستغل إلاّ وهي أنجب شيء في هذا الفحص، وما من فاكهة توصف وتستطرف إلاّ وما هناك من الفاكهة يفوقها، ويجود فيها من ذلك

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ص137. ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص111.

[3] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، ص107.

[4] نفسه، ص127-128.

[5] نفسه، ص119-127-128.

[6] أحمد حاجيات: **مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية (635-897 هـ/1238-1492 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: سامية أبو عمران، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012، ص49.

[7] المقري: المصدر السابق، ج3، ص151.

[8] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، ص120-121.

[9] محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص445.

[10] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص121.

ما لا يجود إلاّ بالساحل من اللوز وقصب السكر ممّا أشبههما. وحرير فحص إلبيرة[1] هو الذي ينتشر في البلاد ويعمّ الآفاق، وكتّان هذا الفحص يربي جيده على كتان النيل ويكثر حتى يصل إلى أقاصي بلاد المسلمين، وبإلبيرة معادن جوهرية من الذهب والفضة... والحديد والرصاص"[2].

كما تميّزت كذلك بأنهارها وجنّاتها وبساتينها،[3] ما أعطى لها ميزة انتاج أجود المزروعات، كالتفاح والقراسيا البعلبكية "التي لا تكاد توجد في الدنيا منظرا ولا حلاوة حتى إنّها ليعصر منها العسل، وبها الجوز، والقسطل، والتين والأعناب، والخوخ، والبلوط"[4]. إضافة إلى اللوز وقصب السكر والحرير[5] والرمّان،[6] وبعض الأعشاب التي تستعمل كأدوية.[7] وقد كان للكروم مناطق واسعة تغطّي مساحات واسعة من غرناطة ومالقة،[8] ويضرب بها المثل في الجودة والنّماء.[9] وقد أشير في بعض كتب النوازل إلى زراعة بعض الأندلسيين للكتّان، حيث سُئِل أحد فقهاء غرناطة عمّن هلكت غلّة الكتان من الأرض التي اكتراها.[10]

أمّا دكاكين الأندلس فقد امتلأت بالخضر والفواكه الطيّبة،[11] لهذا كان الأندلسيون يدّخرون الفواكه اليابسة، وتكون متوفّرة مدار السنة وندرتها قليلة.[12]

---

[1] **إلبيرة**: مدينة من مدن الأندلس، أسّسها عبد الرحمن بن معاوية، وأسكنها العرب، بينها وبين غرناطة ستّة أميال. أنظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص29.

[2] الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص46.

[3] ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص220.

[4] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص228.

[5] الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص46.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص137.

[7] نفسه، ج1، ص98-99.

[8] محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص446.

[9] نفسه، ج4، ص445.

[10] ابن لب الغرناطي (ت782هـ/1380م): **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تح: حسن مختاري، هشام الرامي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ج2، ص143

[11] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص115-116.

[12] نفسه، ج1، ص137.

ثانيا – الصناعة في مملكة بني الأحمر:

اشتهرت مملكة بني الأحمر بصناعة الأسلحة والسيوف والخناجر والدروع والرماح،[1] وكلّ مدينة كانت لها ميزة وخاصية بصناعة ما.[2] فاختصّت مالقة "بعمل صنائع الجلد كالأغشية والحزم... وبصنائع الحديد كالسكين والمقصّ، وبها الفخار المذهّب الذي لا يوجد مثله في بلد"،[3] وصنعت في كلّ من غرناطة ومرسية ثياب من الحرير موشّاة بالذهب،[4] ووجدت بإلبيرة "معادن جوهريّة من الذّهب والفضّة والصفر والحديد والرّصاص"[5]، كما نجد أيضا أنّ أبناء الأندلسيين قد حافظوا على جودة صناعتهم لكلّ من الصوف والحرير والأقمشة الملوّنة الممتازة،[6] وكذلك صناعة الأواني الخزفية الجميلة،[7] واحترفوا مهنة الخياطة والنسيج، إذ نجد أنّ أحد الفقهاء سُئل عن كراء المناسج من طرف الحيّاكين.[8]

ولقد كان لصناعة الورق حيّز كبير حيث اشتهرت في كل من طليطلة[9]، وشاطبة[10]، وأُنشئت فيها مصانع للورق. وقد أخذ الإسبان هذه الصناعة عن المسلمين وتمّ انتقالها إلى أوروبا عن طريق فرنسا،[11] كما أنّها امتازت بالأرحاء الطاحنة.[12]

---

[1] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، 123.

[2] أحمد حاجيات: المرجع السابق، ص51.

[3] ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص234.

[4] أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت658هـ/1286م): **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1970، ص140.

[5] الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص46.

[6] يوسف شكري فرحات: المرجع السابق، ص123.

[7] محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص447.

[8] أبي القاسم بن سراج الأندلسي (ت848هـ/1444م): **فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي**، تح: محمّد أبو الأجفان، المجمع الثقافي، ط2، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص201.

[9] **طليطلة:** مدينة تقع في الأندلس بناها الأمير محمّد بن عبد الرحمن بن الحكم. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص39.

[10] **شاطبة:** مدينة أندلسية تقع في شرقي قرطبة، بالقرب من مدينة شقر. نفسه، ج3، ص309.

[11] محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص447.

[12] زوبير بعلي: **الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة (629-897 هـ/1232-1492 م) من خلال كتب النوازل والوثائق**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: باقة رشيد، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019، ص172.

وهذا ما ذكره ابن الخطيب عن غرناطة في عهد بتي الأحمر أنّها احتوت على ما يزيد عن مئتين وثلاثين رحى.[1] ونجد أيضا مساهمة اليهود في النشاط الاقتصادي من خلال ممارستهم للحرف اليدوية، وهذا ما يشير إليه بعض الباحثين من خلال ممارسة بعض اليهود واشتغالهم.[2]

ثالثا – التجارة في مملكة بني الأحمر:

أمّا التجارة في الأندلس فقد كانت لها مكانة رفيعة خلال عهد بني الأحمر، ويعود ذلك إلى الموقع الجيّد الذي يتوسّط إفريقيا وأوروبا. وقد وُجدت مجموعة من العقود تتضمّن معاملات تجارية من بيع وشراء للضياع والمزارع والمباني في غرناطة.[3] أمّا العلاقة التجارية للأندلس فقد شملت العديد من المدن والمناطق، كالقسطنطينية والشام، والإسكندرية، وإيطاليا، وخصوصا جنوة وروما والبندقية، إذ قد عقدت غرناطة مع جمهورية جنوة ومملكة أراغون معاهدات تجارية عديدة.[4]

وقد ترتّبت في مملكة غرناطة ضرائب مرتفعة عموما، يتولّاها موظّف ويقوم بالإشراف على شؤونها ويطلق عليه اسم صاحب الأشغال.[5]

أمّا عن المنتوجات وأسعارها في أسواق بني الأحمر، فتذكر المصادر أنّ في عهد الأمير أبي الحسن علي بن سعد "كثر الخير وانبسطت الأرزاق ورخصت الأسعار وانتشر الأمن في جميع بلاد الأندلس وشملتهم العافية في تلك المدة وضربت سكة جديدة طيبة"[6]، كما يذكر ابن الخطيب أن الأسعار في مدينة ألمرية كانت مرتفعة.[7] وقد كانت للهجرات إلى مملكة بني الأحمر أثر في غلاء المعيشة، وارتفاع الأسعار فيها.[8]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص133.

[2] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص149.

[3] لويس سيكودي لوثينا: "وثائق غرناطية لم تنشر"، تع: محمود علي مكي، **مجلة المعهد امصري للدراسات الإسلامية**، مدريد، إسبانيا، ج4، ع1-2، 1956، ص176.

[4] محمّد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج4، ص447-448.

[5] نفسه، ج4، ص448.

[6] مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص37.

[7] ابن الخطيب: **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، ضمن: رحلات ابن الخطيب، المصدر السابق، ص81.

[8] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص258.

أمّا العملة الأندلسية على عهد ابن الأحمر، فقد ذكرها ابن الخطيب أنّها "فضة خالصة، وذهب إبريز طيّب محفوظ، ودرهم مربّع الشكل... في الأوقية منه سبعون درهما يختلف الكتب فيه، فعلى عهدنا، في شقّ (لا إله إلا الله، محمّد رسول الله)، وفي شقّ آخر، (لا غالب إلا الله، غرناطة). ونصفه هو القيراط، في شقّ (الحمد لله رب العالمين)، وفي شقّ، (وما النصر إلا من عند الله). ونصفه وهو الربع، في شقّ (هدى الله هو الهدى)، وفي شقّ، (العاقبة للتقوى)"[1]

إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من ظهور العملة المزوّرة والمغشوشة في غرناطة خلال عهد بني الأحمر، ولم تقتصر هذه الظاهرة على غرناطة فقط بل شملت عامة بلاد المغرب الإسلامي.[2]

المبحث الثّالث: وضعية الطبّ في الأندلس على عهد بني الأحمر

لقد كان الطبّ[3] في الأندلس خلال عهد بني الأحمر متقدّما في كلا الجانبين سواء في طرق العلاج أو في صنع الأدوية وتركيبها.[4] ولقد كان هناك العديد من الأطباء الذين ظهروا ومارسوا هذه المهنة وبرعوا فيها، ونذكر منهم:

أولا- محمّد بن إبراهيم بن رويبل الأنصاري الملقّب بابن السرّاج (ت730هـ/1330م): من أهل غرناطة، كان متفنّنا في الطبّ، عارفا بعلم الأعشاب والنباتات، متميّزا في صناعة الأدوية، وله أشعار. اشتغل طبيبا في دار السلطان على عهد بني الأحمر، وألّف كتبا كثيرة في الطبّ والنباتات وتعبير الرؤيا. وكان يعالج الفقراء بالمجّان.[5] يقول فيه ابن الخطيب: "يؤثر ذوي الحاجة، ويخفُّ إلى زيارتهم، ويرفدهم، ويعينهم على معالجة عللهم"[6].

ثانيا- أبو زكريا يحي بن أحمد بن هذيل (ت753هـ/1352م): كان حاملا لكثير من العلوم العقلية كالهندسة والهيئة والحساب. كما تميّز في الأدب والشعر، ومع كلّ هذا كان طبيبا بارعا. واشتغل في دار

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص137-138.

[2] زوبير بعلي: المرجع السابق، ص190.

[3] **الطبّ**: هو علم من فروع العلوم الطبيعية يختصّ بالنظر في بدن الإنسان إذا وقع به المرض من حيث سببه والعلاج المقترح له. ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص650.

[4] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص372.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص ص160-162.

[6] نفسه.

السلطان النصري، كما درّس بمدرسة غرناطة جملة من العلوم، منها الطبّ والفرائض. وألّف كتبا في صنعة الطبّ، منها كتاب: الاختيار والاعتبار في الطبّ، وكتاب: التذكرة في الطبّ.[1]

ثالثا- أبو جعفر أحمد بن محمّد بن يوسف الأنصاري (ت763هـ/1362م): يعرف بالحبالي، قرأ الطبّ على ابن هذيل. وتمكّن من علم النجوم وجداول الأبراج، يذكر ابن الخطيب أنّه كان مقصودا في العلاج بالرُّقى والتمائم.[2]

رابعا- أحمد بن محمّد الكرني (كان حيا 690هـ/1291م): من أهل غرناطة. اعتبره ابن الخطيب شيخ الأطبّاء فيها. مميّزا في صناعة الطبّ، ومدرّسا لها، وموفّقا في العلاج، أخذ الطبّ عن بعض علماء عصره كابن سراج وأبي عبد الله بن سالم. كما اشتغل طبيبا في دار السلطان.[3]

خامسا- أم الحسن بنت القاضي الطنجالي (ق 8هـ/14م): من أهل لوشة[4]، أخذت الطبّ عن والدها، حتى علمت أسبابه وأعراضه، وقامت بتدريس مسائله.[5]

سادسا- حسن بن محمّد بن حسن القيسي (ت710هـ/1310م): من أهل مالقة، كان متمرّسا في صناعة الطبّ، حافظا لمسائله، طويل الخبرة، متميّزا في الأدوية. وقد كان يصنعها ويركّبها من الأعشاب الطبيعية. تعلم الطبّ على أبي الحسن الأركشي.[6]

سابعا- محمّد بن أحمد الرقوطي (ق 8هـ/14م): تميّز بمعرفة المنطق والهندسة والحساب والموسيقى والفلسفة. متعدّد اللغات، حتى أنّه بنى مدرسة يدرّس فيها المسلمين والنصارى واليهود بلغاتهم، مع كونه متمرّسا في الطب، مدرّسا له، لا يجارى فيه.[7]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج4، ص390-391.

[2] نفسه، ج1، ص205.

[3] نفسه، ج1، ص206-207.

[4] **لوشة**: مدينة تقع في الأندلس في الغرب من مدينة إلبيرة، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخا وبينها وبين غرناطة عشر فراسخ. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص26.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص430.

[6] نفسه، ج1، ص467-468.

[7] نفسه، ج3، ص67-68.

ثامنا- محمّد بن خلف بن موسى الأنصاري (ق 8هـ/14م): من أهل إلبيرة، كان مقدّما في الطبّ، متمرّسا في علاج العين. وله كتاب في ذلك.[1] قال عنه ابن الخطيب: "وهو كتاب جمّ الفائدة"[2].

تاسعا- محمّد بن محمّد بن علي بن سودة المري (ق 8هـ/14م): مارس الطبّ، وتصدّر للعلاج، وكانت له رحلات في سبيل تعلّمه.

عاشرا- محمّد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي (ت 717 هـ): أخذ صنعة الطبّ عن أبي جعفر الكربي، وتصدّر للعلاج، وكان مجيدا فيه، اشتغل طبيبا بالدار السلطانية.[3]

حادي عشر- محمّد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري (ق 8هـ/14م): يعرف بالشقّوري نسبة إلى مدينة شقّورة[4]، تصدّر للعلاج في سن مبكرة، واجتهد في الطبّ وصنعته، واشتهر بنجاح تجاربه الطبّية وعلاجاته، ما جعل السلطان النصري يستدعيه لعلاجه، ثمّ بقي مشتغلا بالطبّ في دار السلطان. من كتبه: - تُحفة المتوصّل في صنعة الطبّ[5]: تناول فيه نوعية الغذاء والحميات التي لها علاقة بالأمراض. - مقالة في الطبّ أو مجرّبات الشقوري: تناول فيه الأدوية والعلاجات المجرّبة للأمراض الشائعة في عهده. - تحقيق النبأ في أمر الوباء: وهي رسالة في الطاعون الذي وفد إلى الأندلس سنة 749هـ/1348م.[6]

ثاني عشر- محمّد بن علي بن فرج القربلياني (ت761هـ/1360م): كان مشتغلا بالطبّ، عالما بالنبات، وألّف كتابا فيه.[7] ونال شهرة واسعة في علم الجراحة حتّى عرف باسم الشفرة، كما عالج إصابات السهام وكسور العظام.[8] وألّف كتابا أسماه: الاستقصاء والإبرام في علاجات الجراحات والأورام، قسّمه إلى ثلاثة أقسام:

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص165-166

[2] نفسه.

[3] نفسه، ج3، ص169-171.

[4] **شقّورة**: مدينة تقع في الأندلس تابعة لجيان. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص105.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص177-178.

[6] رشيد يماني: "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري"، **دورية كان التاريخية**، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ع43، مارس، 2019، ص120.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص179-180.

[8] إبراهيم بن عطية الله هلال السلمي: المرجع السابق، ص153.

1- مقالة في الأورام: تناول فيه بعض الأمراض كالدورة المائية والأدرة الريحية، والعقد الغددية، والثآليل، والورم الصلب، والسرطان غير المتقرّح، والمتقرّح، عرّفها باختصار، وذكر بعض أعراضها وطرق علاجها.

2- مقالة في الجراحات والجبر: تناول فيها الجروح وأنواعها ودرجات خطورتها، ثمّ تحدّث عن جراح الرأس وقسّمها إلى عشرة أنواع، وذكر طرق علاج كلّ واحدة منها.

3- مقالة في الأدوية المفردة والمركّبة التي تصلح للأورام والجروح والحروق والجبر وما إلى ذلك: تناول فيها العلاجات. وذكر فيها الأدوية المناسبة للأورام والجروح والحروق والكسور.[1]

ثالث عشر- محمّد بن محمّد بن أحمد الأنصاري (ق 8هـ/14م): من أهل الطبّ في غرناطة، رحل منها للحجّ ثم ازداد من علم الطبّ في المشرق، ورجع لغرناطة ليتصدّر صنعة الطبّ. ثّم رجع إلى المشرق مرّة أخرى.[2]

رابع عشر- عيسى بن محمّد بن عيسى بن سعادة الأموي (ت728هـ/1328م): أصله من لوشة، اشتغل طبيبا بالدار السلطانية، ودرّس فيها الطبّ، وله كتاب في العلاج أسماه: القفل والمفتاح في علاج الجسوم والأرواح.[3]

خامس عشر- أحمد بن علي ابن خاتمة الأنصاري (ق 8هـ/14م): من أهل ألمرية، طبيب ومؤرّخ، قال عنه ابن الخطيب أنّه "حسنة من حسنات الأندلس"[4]. من مؤلّفاته في الطبّ: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد.[5]

سابع عشر- أبو عبد الله محمّد لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م): طبيب ومؤرّخ وأديب غرناطي، أخذ الطبّ عن أبي زكريا ابن هذيل، وألّف كتبا عديدة في الطبّ وما يتعلّق به منها:

- مقنعة السائل عن المرض الهائل.
- الرجز في عمل الترياق.

---

[1] محمّد بشير حسن راضي العامري: المرجع السابق، ص ص 188-203 باختصار.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص233.

[3] نفسه، ج4، ص235-236.

[4] نفسه، ج1، ص239-240.

[5] نفسه.

- اليوسفي في الطبّ.

- الوصول لحفظ الصحّة في الفصول.

- رجز الطبّ ورجز الأغذية.

- عمل من طبّ لمن حبّ: ألّفه للسلطان المريني،[1] وتناول فيه مختلف الأمراض وذكر فيه أسبابها وأعراضها وعلاجها، والنظام الغذائي الذي يناسبها.[2]

ثامن عشر- محمّد بن إبراهيم بن محمّد الأوسي (ت715هـ/1315م): يعرف بابن الرقّام، من أهل مرسية، كان عالما بالحساب والهندسة، متميّزا في الطبّ، قام بتدريسه في غرناطة، وقصده الناس للسؤال والعلاج. له مؤلّفات كثيرة في الطبّ منها: كتاب الشفا، وكتاب الزيج القويم الغريب المرصد، وكتاب الحيوان والخواصّ.[3]

لقد ساهم هؤلاء الأطبّاء في النجاح الذي كان قد حقّقه الطبّ في الأندلس، فقد توصّلوا لكثير من طرق العلاج، منها استعمال الثلج ضد النزيف، والكيّ بالنار للزّكام والجروح الفاسدة. كما كان لأطباء الأندلس خلال عهد بني الأحمر معرفة جيّدة بالأمراض كالجذام والجدري والشّلل النصفي، والالتهابات وغيرها، كما تمكّنوا من إجراء بعض العمليات الجراحية،[4] وخاصّة عمليات خياطة الجراح ونزع السهام، ومداواة الإصابات، كالطبيب ابن فرج القربلياني.[5]

كما كان لبناء مستشفى غرناطة،[6] مساهمة فعّالة في ازدهار الأوضاع الطبّية للأندلسيين في مملكة غرناطة. أضف إلى ذلك المساعدات التي كان يقدّمها ملوك بني الأحمر للأطباء من أجل تطويره

---

[1] محمّد بشير حسن راضي العامري: **فصول في إبداعات الطبّ والصيدلة في الأندلس**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت، ص25.

[2] رفاه تقي الدين عارف الدوري: **الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر (629-897 هـ/1232-1492م)**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: طه الطراونة، جامعة مؤتة، الأردن، 1999، ص261.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، 69-70.

[4] أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص378.

[5] إبراهيم بن عطية الله هلال السلمي: "الطبّ العسكري الأندلسي من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات حوض النيل**، جامعة أم القرى، ع18، 2016، ص139-146.

[6] سامي صاحبي، مسعودة سبقاقي: "العلوم النقلية والعقلية بالأندلس – عهد بني الأحمر أنموذجا"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الواد، الجزائر، مج03، ع01، جوان، 2019، ص366.

وازدهاره.[1] وقد كان مستشفى غرناطة، عبارة عن مبنى مستطيل من طابقين له فناء رئيسي، وهو واسع المساحة، متعدّد الغرف، متوفّر على تهوية جيّدة، وترتيب حسن،[2] وكان يرتاده المرضى والضعفاء والمغتربون.[3]

من خلال ما طرحنا يتّضح لنا أنّ المجتمع الأندلسي في عهد بني الأحمر كان يحتوي تنوّعا ثقافيا متعدّدا، حيث أنّ مملكة غرناطة حوت العرب والبربر واليهود والنصارى والمهاجرين، وكان للمرأة مكانة، وشاركت في الحياة الاجتماعية للمملكة.

أمّا في الجانب الاقتصادي فرأينا أنّ مملكة غرناطة امتازت بعلاقة تجارية متينة ومتنوّعة مع الدول والممالك المجاورة سواء كانت نصرانية أو إسلامية، وهذا ما ساعدها وساهم في دخول العديد من السلع والمنتوجات التي لم تكن متوفّرة في الأندلس.

أمّا بالنسبة لوضعية الطبّ في مملكة غرناطة فلاحظنا وجودا معتبرا لعدد من الأطبّاء الذين برّزوا فيه وكان الكثير منهم يجيد الجراحة وعلاج الأمراض البسيطة والشائعة، وألّفوا كتبا متعدّدة في مجال الطبّ وكل ما يتعلق به، كما وجدنا للدولة مساهمة في ترقية الوضع الطبّي من خلال بناء المستشفيات.

---

[1] عبده بن محمّد عواجي عبد القهار: **علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية 635-897 هـ**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف: سعد بن عبد الله البشري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1998، ص183.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص50. أحمد محمّد الطوخي: المرجع السابق، ص379.

[3] ابن الخطيب: **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تح: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، مصر، 1980، ص47.

الفصل الثاني: اجتياح الطاعون للأندلس في عهد بني الأحمر (749هـ/1348م)

المبحث الأوّل: أسباب اجتياح الطاعون للأندلس على عهد بني الأحمر

المبحث الثاني: موجة الطاعون في الأندلس خلال عهد بني الأحمر

المبحث الثالث: مواجهة أطبّاء الأندلس للطاعون في عهد بني الأحمر

في منتصف القرن الثامن الهجري، وتحديدا سنة 749هـ/1348م وما بعدها، عاشت الأندلس موجة عنيفة من الطاعون، حيث نتج عنه أضرار كبيرة على البلاد، وقد ركّزت عليه المصادر التاريخية، وتناولته في العديد منها واعتبرته حدثا مهمّا وطاعونا جارفا. فماهي العوامل والظروف التي ساعدت الطاعون في اجتياح بلاد الأندلس؟ وهل شمل الطاعون بلاد الأندلس فقط أم امتدّ وشمل مناطق أخرى من العالم؟، وكيف كانت ردّة فعل الأطباء، ومواجهتهم لهذا الطاعون؟ وما هي الحلول التي قدّموها للعلاج والوقاية منه؟

المبحث الأول: أسباب اجتياح الطاعون للأندلس على عهد بني الأحمر

بعد بحثنا في المصادر التاريخيّة التي تناولت الطاعون في الأندلس وفي مختلف مناطق من العالم، وجدنا أنّه أُرجع إلى العديد من الأسباب والأمور المختلفة وفُسِّر بتفسيرات متباينة نذكر منها:

أولا– الأسباب الغيبية: يرى البعض أنّ الطاعون يعود إلى أسباب وأمور غيبيّة، منها حركة النجوم والأفلاك، فيذكر ابن الخطيب أنّ من الأسباب المباشرة للطاعون هي: "الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم، حسبما يزعمه أرباب النجوم، ويأخذها الطبيب مسلّما عنهم"[1]، ونجد ابن خاتمة (ت770هـ/1369م) الذي يرى أنّ من أسباب تغيّر الهواء الذي يحدث به الطاعون هو: "اتصال الأشعة الفلكية والأنوار السماوية والنصب العلوية..."[2].

وقد ساد الاعتقاد بأنّ للنجوم والكواكب تأثيرا في نشاط الإنسان منذ بداية العهد البيزنطي، وامتدّ إلى العصر الوسيط بعد موجات الطاعون.[3] وممّا يدلّ على ذلك أيضا أنّ اعتقاد الأوروبيين في أنّ سبب الطاعون في القرن الرابع عشر يعود إلى ظهور كوكب زحل والمشتري والزهرة في بوم واحد.[4]

---

[1] ابن الخطيب: **مقنعة السائل عن المرض الهائل**، ضمن: ثلاث رسائل في الطاعون، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013، ص108.

[2] أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/1369م): **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**، ضمن: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013، ص140.

[3] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص61-62.

[4] خوليو قالديون باروك: "الوباء الأسود في عالم القرن الرابع عشر"، تع: إسحاق عبيد، **ابن خلدون والبحر المتوسط**، مكتبة الإسكندرية، دع، مصر، 2007، ص255.

بينما يرى البعض أنّ هناك سببا آخر يعود إلى وخز الجنّ معتقدين أنّ للأرواح تأثيرا على الطبيعة وهذا ما يجعلها تتسبّب في المرض والوباء.[1] ويرى آخرون أنّها عقوبة إلهية تحصل من قدرة فوقية لتحذير الناس وعقابهم.[2]

ثانيا – الأسباب الطبيعية:

1– فساد الهواء: يعود السبب الأساسي للطاعون عند جلّ المعاصرين له هو فساد الهواء وتعفّنه. يقول ابن خلدون (ت808هـ/1405م): "وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيوانيّ وملابسه دائما فيسري الفساد إلى مزاجه، فإن كان الفساد قويّا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة وإن كان الفساد دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الأمزجة وتمرض الأبدان وتهلك".[3]

ويؤكد ابن خاتمة هذا الرأي فيقول: "اعلم أنّ سببه القريب غالبا هو تغيّر الهواء المحيط بالإنسان الذي فيه تنفّسه، وهذا التغيّر يكون في الكيف ويكون في الجوهر...".[4] ويقول الطبيب الشقّوري (ت بعد 776هـ/1374م) أنّ سببه "فساد مبثوث في الهواء... يقع في الأبدان ويؤثّر فيها تأثيرا عظيما"[5]. وتعتبر نظرية تأثير الهواء على صحّة الأبدان ممّا استفاده العرب من مؤلّفات أبقراط وجالينوس في الطبّ.[6]

ومن أسباب تلوّث الهواء المسبّب للطاعون:

أ – المناخ ويكون نتيجة غزارة الأمطار أو ندرتها، وهبوب الرياح أو هدوئها، مثلا في الربيع يكون هناك برد مع قلّة في كمية الأمطار فينتج عنه تعفّن الهواء وفساده "حتّى أنّ بعض الناس كان يسقط منه العَضُد بأسره والساق بأسرها لشدّة العفونة"[7].

---

[1] ابن القيم: المصدر السابق، ص30.

[2] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص62.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص377.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص131-132.

[5] أبو عبد الله محمّد بن علي اللخمي الشقوري (ت بعد 776هـ/1374م): **النصيحة**، ضمن: ثلاث رسائل في الطاعون، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013، ص256.

[6] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص62.

[7] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص138-139.

ب – موت الحيوانات وتعفّنها داخل الخنادق والآبار وبقائها محصورة هناك ممّا يتسبّب في ارتفاع الأبخرة الفاسدة والمتعفّنة. إضافة إلى المياه الراكدة. وكلّ هذا يساعد في تغيّر الهواء من الحالة الطبيعية إلى الملوّثة. ويكون الوباء غالبا نتيجة هذا الهواء المعفّن.[1]

جـ – الهواء الخارج من أنفاس المرضى بالطاعون وكذلك استنشاقهم للهواء حيث لا ينفكّ أحد ممّن يستنشق معهم نفس الهواء أو يلامسهم ويداوم على ذلك إلاّ أثّروا فيه وأصابه هذا المرض.[2]

د – إنحصار حركة الهواء وعدم تجديدها، وراجع ذلك إلى ضيق المساكن والطرقات وتراكم البنايات، ممّا أدّى إلى عرقلة سير الهواء على طبيعته.[3]

2– العدوى: تعتبر من الأسباب المباشرة والمهمّة للإصابة بالطاعون، حيث أنّ لكلّ وباء خصائص. ومن خصائص الطاعون أنّه ينتقل من مكان إلى آخر سواء كان هذا المكان مجاورا له أو بعيدا عنه.[4] لهذا كانت طرق التواصل بين الأندلس وباقي مناطق العالم من عوامل ظهور الطاعون فيها.[5]

وتعدّ بلاد الصين[6] مركز العدوى بالطاعون وهذا ما يذكره المؤرخون، إذ في حوالي سنة 734هـ/1334م، وقعت حرب كبيرة خلفت موتى كُثر، فتعفّنت جثثهم وأفسدت الهواء وهذا ما أدّى إلى بروز الطاعون.[7] أمّا انتقاله إلى الأندلس فكان عن طريق التجار من جنوة القادمين من شبه جزيرة القرم، حيث نشروا الوباء في صقلية، وبعدها في الأندلس ليكملوا طريقهم إلى داخل أوروبا.[8]

ويعتبر الطبيبان المعاصران للطاعون ابن خاتمة وابن الخطيب أنّ العدوى تعدّ مسألة مهمّة، ومن الأسباب المباشرة للطّاعون، حيث يقول ابن خاتمة: "الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه أنّ هذا

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص133-140.

[2] نفسه، ص157-158.

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص377.

[4] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص110-116.

[5] رشيد يماني: "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية**، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع2، شتاء 2015، ص49.

[6] **الصين:** بلاد في مطلع الشمس، فيها أكثر من ثلاثمائة مدينة عامرة، وفيها أقاليم كثيرة. الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص370.

[7] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص116.

[8] خوليو قالديون باروك: المرجع السابق، ص254.

الداء يسري شرّه ويتعدّى ضُرّه، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة، فما من صحيح يلابس مريضا ويطيل ملابسته في هذا الحادث إلاّ ويتطرّق إلى إذايته ويصيبه مثل مرضه... والفعل الأوّل والثّاني للحقّ جلّ جلاله خالق كلّ شيء"[1].

وأمّا ابن الخطيب فيقول: "وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحسّ والمشاهدة والأخبار المتواترة، وهذه مواد البرهان، وغير خفيّ عمّن نظر في هذا الأمر أو أدركه هلاك من يباشر هذا المريض بهذا المرض غالبا، وسلامة من لا يباشره كذلك... ووقوعه في المدينة وفي الدار الواحدة ثمّ اشتعاله منها في أفذاذه المباشرين ثمّ في جيرانهم وأقاربهم وزوّارهم خاصّة..."[2]

وتتمّ عملية العدوى بالطاعون بين البشر عن طريق استنشاق الأبخرة والهواء الخارج من المرضى، وأيضا من خلال استعمالهم لنفس الأفرشة التي كانت لهم في وقت ما وتقلّبهم عليها.[3] ويذكر لنا ابن خاتمة قصّة تشير إلى وجود الطاعون في الأندلس وكيف انتشر بين الناس عن طريق ملابس الموتى، فيقول: "ولقد شهدت أهل سوق الخلق بألمرية الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم، مات أكثرهم ولم يسلَم منهم ولا من الذين خلّفوهم إلى الآن إلاّ الأقلّ، وغيرهم من أرباب السوق. حالهم كحال سائر النّاس"[4].

ويبدو أنّ بعض الأندلسيين ممّن ابتعد عن المدن أو اتّخذ مكانا منعزلا عن المرضى وحرص على عدم مخالطتهم وملامستهم لم يصب بالعدوى من هذا الوباء، وقد ذكر ابن الخطيب بعض الأمثلة عن هؤلاء الأشخاص: "كالزاهد ابن أبي مدين بمدينة سلا، وكان من القائلين بالعدوى، وقد تزوّد لمدة، وبنى باب منزله على أهله وهم كثيرون، وفنيت المدينة، ولم يرزأ نسمة واحدة بطويل تلك المدّة، وتواترت الأخبار بسلامة أماكن لا تطأُها الطرق ومنقطعة عن الناس، ولا أعجب لهذا العهد من سجن الأسرى من المسلمين، أنقذهم الله، بدار صنعة إشبيلية، وهم ألوف لم يصبهم الطاعون، وقد كاد يستأصل

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص157.

[2] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص113-114.

[3] نفسه، ص158.

[4] نفسه، ص159.

المدينة. وصحّ النقل بسلامة أهل العمود والرحّالين من العرب بإفريقية وغيرها، لعدم انحصار الهواء وقلّة تمكُّن الفساد منه"[1].

3 – الموقع الجغرافي: حسب ما ذكره ابن خاتمة وهو من الأطبّاء الذين عاصروا الطاعون في الأندلس أنّ وجود الأندلس في منطقة الساحل واعتبارها من المناطق الأكثر حرارة ورطوبة من البراري من الأسباب المباشرة في انتشار الطاعون لهذا "كان هذا الحادث في الجزر البحرية أشدّ منه في بلاد السواحل، وفي بلاد السواحل أشدّ منه في البلاد البرية، وذلك لعظم الاستعداد وشدةّ المناسبة، فحيث ما كان الهواء أتمّ استعدادا وأكثر مناسبة، كان تغيّره أسرع واستحالته أعظم"[2]. إضافة إلى أنّ "البلاد التي في السهل هواؤها أكثر استعدادا من البلاد التي في الجبال، ولا سيما ما كان منها في الوهاد والمطمئن من الأرض، أو إلى جانبها أودية وبطائح وغياض، فإنها أشدّ استعدادا وأسرع انفعالا لما تتوّفر فيها من السخانة بسبب انعكاس أشعّة الشمس عليها، ولكثرة رطوبتها من الأبخرة المتصاعدة عنها وركود هوائها. أمّا البلاد الجبلية، فعلى العكس من ذلك لبردها ويبسها من قبل الأسباب المضادّة لذلك"[3].

4 – نمط العيش: يرجع ابن خاتمة إلى أنّ الأسباب التي أدّت إلى ظهور الطاعون بين سكّان الأندلس هو الاختلاف في نمط المعيشة بينهم، وذلك من خلال اختلاف الناس في أحوالهم وطعامهم وشرابهم. وهذا ما يؤثّر على قابليتهم عند تعرّضهم للطاعون فمن كان "نهما مسترسلا في شهواته كثير التملّي من الطعام والنوم عليه، لا يبالي باختيار مأكول ولا مشروب ولا بإدخال طعام على طعام، وأكثر من استعمال المطاعم الرديئة السريعة الاستحالة، ولم يعن بحفظ صحّته ولا النظر لنفسه، فإنّ استعداده لنزول هذا المرض به يكون أعظم"[4]. أما من كان "له عناية بحفظ صحّته وإيثار لما ينبغي في سلامته، فإنّه يوشك أن ينفعه الله تعالى... ولا يضرّه مجاورة من جاوره ممّن نزل به هذا المرض، وإن كان جاره بيتا ببيت"[5].

---

[1] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص114.

[2] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص148.

[3] نفسه، ص150.

[4] نفسه، ص155.

[5] نفسه، ص156.

كما أنّ البلاد التي أهلها غالبا ما يأكلون الفواكه الرطبة والأغذية التي تتعفّن وتتحلّل بسرعة كالحيتان والألبان، وكذلك شرب المياه الراكدة في الأودية، حيث يكونون هم أكثر تعرّضا للطاعون وإصابتهم دون غيرهم.[1]

ويذكر ابن الخطيب أنّ ضيق المساكن عند الفقراء من أسباب كثرة انتشار الطاعون بينهم. وكذلك عدم حفاظهم على مأكلهم وملبسهم، والإكثار من ملامستهم الآلات والمشي في الطرقات.[2] وأيضا اضطرارهم لتناول حبوب قديمة متعفّنة أيّام المجاعات ممّا يؤدّي بهم إلى إصابتهم بالطاعون.[3]

المبحث الثّاني: موجة الطاعون في الأندلس خلال عهد بني الأحمر

ظهرت موجات كثيرة للطاعون في العالم ابتداء من سنة 541هـ/1146م بعد أن اختفت آثاره لعدّة قرون. لكنّ حركته لم تخمد، وعاد بقوّة وبشكل خطير، وأشدّ فتكا، وذلك في منتصف القرن الثامن هجري.[4]

وأوّل ظهور للطاعون في هذا القرن كان في بلاد الصين في آسيا الوسطى حيث هلك أهلها "في مشاتيهم ومصايفهم وفي مراعيهم وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلّهم جيفا مرميّة فوق الأرض، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة... ثمّ اتّصل الوباء ببلاد الشرق جميعها، وبلاد أزبك وبلاد إسطنبول وقيصرية الروم، ودخل أنطاكية حتّى باد أهلها..."[5]، ثمّ وصل إلى بغداد وحلب

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص150.

[2] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص119.

[3] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص140.

[4] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ص27. أبو العباس أحمد بن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م): **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ص354. أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ج8، ص271.

[5] تقي الدين أبي العباس المقريزي (ت845هـ/1441م): **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج4، ص81.

والشام وغزّة. [1] ثمّ عمّ جميع أوروبا،[2] فظهر في جنوة والبندقية، ونابولي، ومرسيليا وصقلية[3]. وقد اعتبرت إيطاليا من المعابر الأساسية التي انتشر منها الطاعون إلى جميع الموانئ المتوسطيّة.

أمّا بالنسبة للأندلس فقد دخلها الطاعون سنة 749هـ/1348م، وذلك عن طريق تجّار قادمين من مدينة جنوة، وذلك في شهر ربيع الأوّل من سنة سبعمائة وتسعة وأربعين هجري، فوصل إلى بلنسية[4]، وبرشلونة[5]، ثم بعدها انتقل إلى مدينة ألمرية، وغيرها من المدن الأندلسية الأخرى.[6] (**أنظر الملحق 01**)

ويذكر ابن خاتمة وهو من سكّان المدينة، ومن الذين عاصروا دخول الطاعون إلى الأندلس أنّه "بدأ في ركن من أركان البلد يعرف بالخوايم، وهو الركن الشرقي الشمالي بمتعلق جبلي، الذي يأتي ذكره من مساكن المساكين ومنازل الضعفاء في بيت هنالك يعرفون ببني ذنة"[7]. ويرى ابن خاتمة أيضا أنّ موقع مدينة ألمرية وطبيعتها ساعدت على ظهور الطاعون وانتشاره فيها أكثر من المناطق الأخرى، فيقول: "فإذا أنت تأمّلت هذا الوصف وتوهّمت هذا الشكل، كنت قد تصوّرت مدينة ألمرية، وهي بلا شكّ مدينة ساحلية... مكشوفة من جهة المشرق... ومن أطعمتها الحيتان وهي غالب أدم أهلها، وماؤها رطب... تنجذب إليها السيول من بعد، عند نزول الأمطار، وهذه الأمور كلّها موجبات للانفعال، مؤكّدات للاستعداد، مناسبة لطبيعة هذا الحادث، فلا غرو أن يسرع إليها أكثر من غيرها

---

[1] زين الدين عمر ابن الوردي (ت749هـ/1348م): **تاريخ ابن الوردي**، تق: محمّد مهدي السيد حسن الموسوي، المطبعة الحيدرية، ط2، النجف، العراق، 1969، ج2، ص501. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج4، ص82.

[2] خوليو قالديون باروك: المرجع السابق، ص254.

[3] **صقلية**: هي جزيرة تقع في الغرب الإسلامي افتتحها المسلمون، وغزاها أسد بن الفرات سنة 212هـ. الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص366.

[4] **بلنسية**: مدينة من مدن الأندلس الشهيرة، موقعها الجغرافي بين مدينة مرسية ومدينة طرطوشة. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص47.

[5] **برشلونة**: مدينة تقع في الأندلس، كان يحكمها النصرانيون. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص42.

[6] شلدون واتس: **الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية**، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2010، ص65. محمّد حسن: مقدمة: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، ص52-54.

[7] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص142.

من البلاد"[1]، (**أنظر الملحق 03**) ويذكر أيضا أنّه بدأ انتشاره في الأندلس بداية خفيفة وبطيئة، وبدأ بالتزايد بالتدرّج، إلى أن قوى واشتد بدءا من أواخر جمادى الثّانية سنة 749هـ/1348م.[2]

وقد أرّخ ابن خاتمة وذكر لنا المناطق الأندلسية التي اجتاحها وعمها الطاعون فيقول: "ثمّ اتّصل بمن يليهم على تدريج في العدد وقرب في الجوار حتّى أخذ بأطراف البلد، ثم انتشر خلاله. وأنهى ما بلغ إليه عدد من هلك فيه في يوم بطول هذه المدّة نحو سبعين نسمة، وأين هذا العدد ممّا بلغنا عن غيره من بلاد المسلمين والنصارى، فقد بلغنا على ألسنة الثقات أنّه هلك في يوم واحد بتونس ألف نسمة ومائتا نسمة وثنتان، وبتلمسان سبعمائة نسمة ونيّف، وأنّه هلك ببلنسية يوم العنصرة القريب ألف نسمة وخمسمائة نسمة ومائتا نسمة وثنتان وخمسون نسمة"[3].

وقد شمل الطاعون في الأندلس مدينة طليطلة، إذ وجد فيها قبر ليهودي يسمّى يوسف ابن نحمياس منقوش عليه: "لقد أصابه الوباء الذي حلّ بنا جميعا كعاصفة عاتية لا ترحم"[4]. ووصل أيضا إلى الحواضر الغرناطية كمالقة، والجزيرة الخضراء،[5] ورندة.[6] كما شمل أيضا "بلاد أرغون وبرشلونة وبلنسية وغيرهما، وعمّ أكثر مملكة قشتالة حتّى انتهى إلى إشبيلية من أقصى المغرب، واتّصل مع ذلك بجزر البحر الرومي بجزيرة صقلية وسردانية، وميورقة[7]، ويابسة، وانعطف على سواحل العدوة وبلادها من أرض إفريقية إلى ما يلي المغرب"[8].

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص154-155.

[2] نفسه، ص142.

[3] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص143.

[4] خوليو قالديون باروك: المرجع السابق، ص256.

[5] **الجزيرة الخضراء:** هي مدينة تقع في الأندلس، وتسمّى كذلك بمدينة أمّ حكيم، بينها وبين قلشانة أربعة وستون ميلا. الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص223.

[6] رشيد يماني: "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة"، المرجع السابق، ص50.

[7] **ميورقة:** جزيرة تابعة للأندلس وهي بالقرب منها، قام المسلمون بفتحها سنة 290هـ. الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص188.

[8] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص144.

وقد قسّم ابن خاتمة مراحل الطاعون إلى خطّ زمني منقسم إلى ثلاثة أطوار:

أولا – طور الظهور والانتشار ببطئ: طوال صيف سنة 749هـ/1348م.

ثانيا – طور الاستشراء والزيادة: شملت خريف وشتاء سنة 749هـ/1348م.

ثالثا – طور التراجع والانحسار: بدءا من ربيع 749هـ/1348م، وهو تاريخ كتابة ابن خاتمة لرسالته.[1]

بعد انتشار الطاعون في الأندلس وباقي الدول الأوروبية، وصل شموله سنة 749هـ/1348م إلى بلاد المغرب أيضا يقول المقريزي (ت845هـ/1441م): "وعمّ الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت الموتة وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها، ثمّ أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وُجد لحمها منتنا قد اسودّ، وتغيّر ريح السمن واللبن، وماتت المواشي بأسرها"[2].

إن انتشار الطاعون في ألمرية وجنوة ومرسيليا وغيرها من المدن التي تحتوي على موانئ يجعلنا نستنتج أنّ "المدن الساحلية والتجمعات السهلية الموجودة على طول الطرق التجارية كانت أكبر تضرّرا من الجبال المنعزلة والواحات الصحراوية ومجالات القبائل البدوية النائية التي ظلّت خزّانا بشريّا هامّا، ممّا يعني أنّ الوباء جرف أساسا المناطق ذات الكثافة السكانية الكبيرة"[3].

كما أنّه كان للعدوى دور كبير في سرعة انتشار الطاعون وقتله للعديد من الأرواح حتّى "أنّ الذي يلابس مريضا ممّن نزل به الحادث، فإنّه يتطرق إليه مثل ذلك المرض بعينه وتظهر عليه أعراضه بعينها... حتّى أنّ أهل المنزل يعمّهم مرض واحد وأعراض متشابهة"[4].

وبلغ ضحايا الطاعون في الأندلس عددا ضخما حيث شكل حوالي ربع السكان.[5] ولم تشهد بلاد المغرب ولا المشرق طاعونا في مثل قوّته، حيث أنّه كان يقضي على أهل القرية مرّة واحدة، وكان سريع الانتقال حيث أنّه بمجرّد أدنى ملامسة للمريض أو اختلاط بثوبه أو آنيته مباشرة يصاب المرء

---

[1] محمّد حسن: ثلاثة رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص58.

[2] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج4، ص84.

[3] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص56.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص159.

[5] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص59.

وتنتقل له العدوى، كما أنّ فئة الضعفاء وأهل الشظف هم أكثر عرضة وفتكا بالوباء، وبصنفي النساء والصبيان أكثر[1].

ويذكر ابن خاتمة أنّ بعض المناطق سلمت من الطاعون ولم يدخل إليها، لأنّ أهلها كانوا يحرصون على ألاّ يدخل إليهم أحد قدم من بلاد الوباء.[2]

المبحث الثّالث: مواجهة أطبّاء الأندلس للطاعون في عهد بني الأحمر

أولا – تشخيص الطاعون: قبل أن يقوم الطّبيب بوصف العلاج والوقاية من هذا المرض لا بد أن يعرّف بالمرض ويكتشف أسبابه وأعراضه لكي يستطيع أن يصف الدواء، وهذا ما نجده في المصادر حيث أنّ أطباء الأندلس الذين عاصروا الطاعون سنة 749هـ/1348م، استطاعوا أن يفهموا مكنون هذا المرض ويقدّموا تعريفا لهذا المرض، ويتطرّقوا إلى أعراضه وأسباب الإصابة به. يقول ابن الخطيب: "هو مرض حادّ حار السبب سمّي المادّة، يتّصل بالروح بدءا بواسطة الهواء، ويسري في العروق، فُيفسِد الدم ويحيل الرطوبات إلى السميّة، وتتبعه الحمّى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين"[3]. بينما يعرّفه ابن خاتمة بأنّه: "حمّى خبيثة دائمة عن سوء مزاج قلبي بسبب تغيّر الهواء عن حاله الطبيعية إلى الحرارة والرطوبة، مهلكة في الغالب"[4].

أمّا عن الأعراض فقد بحث فيها أطبّاء الأندلس لأنّها كثيرة، ومتعدّدة، وقد ذكروا الكثير منها. وهي تختلف من شخص لآخر على حسب نوع الطاعون الذي أصاب المريض، ومن بين الأعراض التي ذكرها الأطباء في الأندلس نذكر منها[5]:

1- الحرارة المصحوبة بالعرق والإعياء.

2- برودة الأطراف.

3- الغثيان المصحوب بسائل مَراري.

---

[1] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص116-117.

[2] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص159.

[3] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص107-108.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص130.

[5] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص130. ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص108-109.

4- ضيق الصدر وصعوبة التنفّس.

5- نفث الدم، والعطش الشديد.

6- ظهور بقع وعقد في الأذنين أو الإبطين وفي المناطق الرخوة من الجسم.

7- تلف العقل والإغماء.

أمّا عن الإصابة بالطاعون وكيفية حدوثه عند المريض فيرى ابن الخطيب أنّه إذا "اتفّق أن يكون المزاج الشخصي قريبا في عرضه من مزاج الوارد السمّي مستعدّا لقبوله، قبله ومال إليه من غير مدافعة ولا ممانعة... فيغوص فيه ويتحدّ به ويسري في الأمشاج والرطوبات سريان الروح"[1]. وإذا سرى المرض في الجسد "فسدت الرطوبات المبثوثة في العروق وغلى الدم غليانا عصاريا قاذفا بالرّطوبات الفاسدة الطافية، وعند ذلك تبادر الطباع بقدرة باريها سبحانه إلى دفع ذلك، فإن كانت قاهرة إيّاه... دفعتها بإذن الله على سبيل البحارين ومن مجاريها المتعارفة، بولا أو برازا أو عرقا أو رعافا أو نزفا، فكان في ذلك النجاة"[2].

ثانيا – الوقاية من الطاعون: لقد ساهم الأطبّاء الأندلسيون في اكتشاف طرق الوقاية من الطاعون، إذ لم يكن لهم حلّ إلا مواجهته والبحث في الأسباب لفهمه وعلاجه، بدل الإستسلام له، أو يعتبروه قدرا محتوما،[3] ومن بين الإجراءات الوقائية التي اتخذها أطباء الأندلس نذكر:

1- التقليل من المأكولات سريعة التلف، ووضع نظام للأكل وعدم الخلط والإكثار منه.[4] يقول الشقّوري: "والمجتنب كثرة الأكل وقلّة الشرب ومصابرة العطش ودخول الحمّام، والتخليط في الأكل، مثل أن يجمع بين أغذية كثيرة مرّة واحدة... فإنّ هذا ممّا يجلب الأمراض الصعبة"[5]. أمّا ابن خاتمة فقد قدّم أنواعا من الأغذية الصحية التي من الأحسن استهلاكها لكي تساعد في الوقاية من الإصابة بالطاعون فيقول: "أمّا الأطعمة فأصلح الأخباز للإنسان ما نشأ عليه من البرّ على اختلاف أنواع دقيقه أو الشعير إذا حسن اختمارهما... وأصلح اللحوم إن استعملت ودعت الحاجة إليها لحوم الفتيان من

---

[1] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص113.

[2] نفسه، ص110.

[3] محمّد حسن: ثلاث رسائل في الطاعون، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص75-76.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص155-156.

[5] الشقوري: المصدر السابق، ص259.

الدجاج والحجل والحملان ولحوم الجداء ورضّع البقر، إذا طبخت هذه اللحوم... عصر عليها خلّ الليم أو خلّ الحصرم، أو طبخت بالقرع أو الخسّ أو البقل... ولا بأس ببيض الدجاج... بالخلّ من غير ثوم، وباستعمال العدس والقرع وسائر البقول"[1].

ويحذّر ابن خاتمة من جهة أخرى من أكل لحوم الحيوانات التي أصيبت بالطاعون، وحذر كذلك من الباذنجان والإكرنب، والأطعمة الغليظة مثل الثرائد والعصائد والكعك والمجبّنات والرفيس، أمّا الفواكه فأحسنها الكمثري والرمّان والإجاص والعنب، والتفاح والسفرجل ويستحسن من شرب المياه ما كان عذبا وخفيفا، ويجتنب منها مياه الأودية والحمامات.[2]

2- الإتقاء قدر المستطاع عن مخالطة المرضى والموتى بالطاعون، أو لبس ثيابهم أو الأكل في آنيتهم أو السكن في منازلهم.[3]

3- الحفاظ على نظافة المحيط وخاصة الهواء النقي، ويتمّ ذلك عن طريق اتّخاذ المناطق الشمالية مساكن لهم، وتعطيرها بالرياحين، ومسح الوجه بماء الورد الممزوج بالخلّ، والإكثار من شمّ الأترج والليم والأزهار الباردة، واجتناب التعرّض للشمس والنار.[4] يقول ابن الخطيب: "تبرّد بيوتهم وتصلح أهويتها بالفواكه والرياحين الباردة... كالكافور وماء الورد والصندل... والعنبر والقطران والمسك والزعفران"[5].

4 – الإكثار من تناول الأدوية المركّبة التي تساعد على الوقاية من الإصابة بالطاعون، مثل: "رُبِّ الفواكه، ورُبِّ الحصرم، ورُبِّ الرمّان... والسكنجبين الرماني بماء التمر الهندي... والدواء المتّخذ من الزعفران... يتّخذ منه كلّ يوم قريب من درهم"[6].

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص162-163.

[2] نفسه، ص164. الشقوري: المصدر السابق، ص261.

[3] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص109.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص161.

[5] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص121.

[6] نفسه، ص120.

5 – المحافظة على نقاء البدن وذلك بالاستحمام بالماء الفاتر، في وسط النهار،[1] وتنظيف المعدة بشراب السكنجين، "وتخفيف الدم بشقّ العروق والحجامة"[2]. واستعمال الصندل والكافور لمسح الصدر.[3]

6 – ضبط ساعات النوم، يقول ابن خاتمة: "أصلح النوم ما كان ليلا على المعتاد من غير زيادة تعفّن الأخلاط وتخبّث النفس ولا نقصان يشيط الأخلاط ويبدّد الأرواح... ولا بأس به نهارا في أيام الصيف، وليعدل به في الصيف إلى الأماكن الشمالية التي تخترقها الرياح، وفي زمن الشتاء إلى الأماكن الكنينة"[4].

7 – الترويح على النفس، وذلك بـ "التعرّض للمسرات والأفراح، وبسط النفس وانشراح الصدر وامتداد الآمال، فليستدع ذلك بما أمكن من الأمور المباحة... ولا جليس آنس من كتاب الله عز وجل... وليحذر التعرّض للغَيرِ وكلّ ما يحزن النفس ويجلب الغمّ"[5].

ثالثا – العلاج من الطاعون: وجد أطبّاء الأندلس أنفسهم أمام موجة طاعون اجتاحت بلادهم سنة 749هـ/1348م، حيث وجدوا صعوبة بالغة في علاج هذا الوباء، وخاصّة إذا استحكم المرض وتغلغل في الجسد، حيث أنّه لا فائدة من العلاج إذا وصل لهذه المرحلة، وهذا ما أقرّه أغلبهم. يقول ابن خاتمة: "اعلم أنّ علاج هذا المرض بعد تمكّنه واستحكامه قليل الجدوى في الغالب..."[6]، لأنّ المريض "يكون في هذه الحال عاجزا عن استصلاح نفسه... فلا جرم أنّه لا يظهر للعلاج جدوى ولا تُجنى له ثمرة"[7].

ورغم كلّ هذا إلاّ أنّ الأطباء الأندلسيين لم يستسلموا وحاولوا بكلّ الطرق تقديم وصفات علاجية للمرضى ساعدت الكثير منهم، ونجحت مع بعضهم خاصّة من كان في بداية المرض ولم يتغلغل الطاعون فيه بشكل كبير. ومن بين الطرق التي قدّمها الأطباء وساعدت في العلاج هي:

---

[1] الشقوري: المصدر السابق، ص258.

[2] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص167.

[3] ابن الخطيب: مقنعة السائل، المصدر السابق، ص120.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص166.

[5] نفسه، ص170-171.

[6] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص179.

[7] نفسه، ص184.

1- الفصد، ويعتبر من أنجع طرق العلاج التي استخدمها الأندلسيون لمواجهة الطاعون، يقول ابن خاتمة: "لم نجد علاجا هو أيسر تداركا وأنجح عاقبة من تفجير الدم بشقّ العروق وخاصّة لأول الشعور بالمرض قبل أن تنتشر الحرارة على البدن وتستحكم الحمّى وتظهر الأعراض الهائلة"[1].

ومن بين الأطباء الذين جرّبوا طريقة الفصد ابن خاتمة، وقد نجحت له هذه الطريقة عدّة مرات، ومنها قصّة المريض الذي جاءه من بجانة[2]، وهي قرية من قرى ألمرية حيث يقول عنه: "أتى في جماعة نحو عشرين نسمة من ناسها فرارا من هذا المرض... وشكى لي ما يجده من الشدّة... فأشرت بفصده في الحين، فأخرج له من الدم اثنتان وعشرون أوقية، فأقلع عنه ما كان يجده بالجملة، كأن لم يكن به بأس... فسألته بعد ذلك، فقال لي إنّه لم يعش من الجماعة الذين أتوا معه من الحمّى غيره، وذلك في نحو أسبوع"[3].

2- السكون والتقليل من الحركة قدر الإمكان. يقول ابن خاتمة في هذا: "ينبغي أن يمال إلى السكون ما ساعد الإمكان على ذلك، وإذا احتيج إلى حركة، فلتكن معتدلة، بحيث لا يرتفع معها نفس ولا يلحق من أجلها كدّ وتعب، وبالجملة بحيث لا تشعل الحرارة الغريزية فيضطر المتحرّك إلى الإكثار من استنشاق الهواء المتغير"[4].

3- تناول الفتيت الليّن الطبخ، والشعير، والأرز المطبوخ، وتناول القرع والخسّ والعدس والاسفانج.[5]

4 – الدعاء والتضرّع إلى الله برفعه. يقول في ذلك ابن خاتمة: "لما كان هذا الحادث لعظم هوله وعموم خطبه، عديم النظير في مواقع الوجود ومجاري الأقدار... وجب أن تصرف الهمّة فيه إلى الله عز وجل، وترفع الرغبة إليه في دفعه"[6].

ولقد فرّق أطبّاء الأندلس بين أنواع الطاعون وبين علاج كل واحد منها، فمنها ما يستحيل علاجه مثل طاعون نفث الدم، يقول فيه ابن خاتمة: "وهذا الصنف لا علاج له، ولم أر أحدا تخلّص

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص175-176.

[2] **بجانة:** مدينة تقع في الأندلس، بينها وبين ألمرية خمسة أميال. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص39.

[3] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص178.

[4] نفسه، ص162.

[5] نفسه، ص ص195-197.

[6] نفسه، ص205.

منه إلا شابّا واحدا، وإلى الآن لم ينقض تعجّبي منه"[1]. وحسب ابن خاتمة فإنّ هذا النوع من الطاعون يفتّت الرئة ويهلكها، لهذا صعب واستحال علاجه.[2]

بينما يصف علاجا لصنف آخر من أصناف الطواعين، فيقول: "ينبغي أن ينظر إلى العليل أوّلا، فإن كانت أعراض الدم عليه ظاهرة... فلا بأس أن يخفّف عنه الدم مقدارا ليس بالكثير ويحسب ما يساعده من سنّه وقوّته... ويسقى بما يعضّد قوّة القلب ويسكّن سورة الدمّ، مثل شراب التفاح ممزوجا بشراب السكنجين، ورُبِّ الحصرم أو شرابه أو شراب الليم... فإن تبعه راحة وبرء، وإلاّ فهو ممّا يخفّف عن العليل شدّته حتّى يموت..."[3]

أمّا صنف الطاعون الذي تظهر معه القروح السوداء، فيرى ابن خاتمة أن يخفّف عن المريض ويسكّن من آلام القروح، بوصفة طبيعية طويلة شرح كيفيتها.[4]

ومما ذكرنا نلاحظ أنّ علاج الطاعون بأنواعه في العصر الوسيط كان بسيطا، ولكنّه مقارنة بحال الطبّ عموما في القرن الثامن هجري كان متطوّرا.

من خلال طرحنا وممّا سبق يتبيّن لنا أنّ بلاد الأندلس في منتصف القرن الثامن هجري كانت أرضا خصبة لبروز وانتشار الطاعون فيها، إذ قد وجدت فيها أغلب الأسباب المساعدة على سرعة انتشاره وقوّة فتكه. كما أنّ طاعون سنة 749هـ/1348م لم يشمل بلاد الأندلس فقط بل تجاوز أغلب مناطق العالم وخطف أعدادا ضخمة من الضحايا، حتى أصبح عند المؤرخين من أشدّ موجات الطاعون التي شهدها العالم، أمّا أطباء الأندلس فلم يكتفوا بتشخيص هذا الوباء بل قدّموا طرقا للوقاية منه، وحاولوا أن يصفوا أدوية علاج للمصابين، ورغم أنّ هذه الوصفات كانت بسيطة إلاّ أنّها كانت تعكس المستوى الذي بلغ إليه الطبّ في الحضارة الأندلسية.[5]

---

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص197.

[2] نفسه، ص197.

[3] ابن خاتمة الأنصاري: المصدر السابق، ص185-186.

[4] نفسه، ص201.

[5] روبرت س جوتفريد: **الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى**، تع: أبو أدهم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2017، ص166.

الفصل الثالث: آثار الطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر

المبحث الأوّل: ضحايا الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر

المبحث الثاني: الآثار الاقتصادية والثقافية للطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية للطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر

رغم مواجهة أطبّاء الأندلس لطاعون سنة 749هـ/1448م، إلاّ أنّه خلّف فيها آثارا عديدة، من الجانب الاقتصادي والاجتماعي، وحتّى الثقافي. فما أهمّ الآثار التي أحدثها الطاعون على الأندلس في القرن الثامن، سواء من الجانب الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي؟، وكيف واجه الأندلسيون هذا الوباء وتفاعلوا معه؟

المبحث الأوّل: ضحايا الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر

لم تذكر المصادر التاريخية العدد الحقيقي لضحايا طاعون سنة 749هـ/1348م، ولكنّ هناك بعض الإشارات التي تدلّ على أنّ عدد القتلى كان كبيرا جدّا. يقول ابن خاتمة عن ضحايا الطاعون في مدينته ألمرية وما جاورها: "ثمّ اتّصل بمن بليهم على تدريج في العدد وقرب في الجوار حتّى أخذ بأطراف البلد، ثمّ انتشر خلاله، وأنهى ما بلغ إليه عدد من هلك فيه في يوم بطول هذه المدّة نحو سبعين نسمة، وأين هذا العدد ممّا بلغنا عن غيره من بلاد المسلمين والنصارى، فقد بلغنا على ألسنة الثقات أنّه هلك في يوم واحد بتونس ألف نسمة ومائتنا نسمة وثنتان، وبتلمسان سبعمائة نسمة ونيف، وأنّه هلك ببلنسية يوم العنصرة القريب ألف نسمة وخمسمائة نسمة ومائتا وثنتان وخمسون نسمة"[1]، (**أنظر الملحق 02**) وقد قدّمت لنا كتب التراجم بعضا من الشخصيات الأندلسية التي ماتت جراء الطاعون، وأكثرهم من العلماء والأعلام، منهم:

أولا – أبو الحسن بن الحباب (ت 749هـ/1348م): قال عنه ابن خلدون: "شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية، وكاتب السلطان بغرناطة... هلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة"[2].

ثانيا – أحمد بن محمّد بن علي الأموي (ت 750هـ/1349م): كنيته أبو بكر، ويلقّب بابن برطال، شغل منصب القضاء في دولة بني الأحمر،[3] "توفّي رحمه الله، وعفا عنه، أيّام الطاعون الغريب بمالقة، في

[1] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص143.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص441.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص171-172.

منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين وسبعمائة"[1]، ودفن مع عدد كبير من موتى الطاعون في يوم واحد، تذكر المصادر أنّها قاربت ألفا ومائتين نفسا.[2]

ثالثا – محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي (ت 750هـ/1349م): كنيته أبو قاسم، كان من أصحاب العلم والدين، وله علم بالحساب والأدب، توفّي بالطاعون في 17 ربيع الثّاني من سنة 750 هـ، ودفن بباب إلبيرة.[3]

رابعا – محمّد بن علي بن يوسف السكوني (ت 750هـ/1349م): وكنيته أبو عبد الله، كان خطيبا بمسجد في حصن قمارش، توفّي بالطاعون سنة 750 هـ.[4]

خامسا – محمّد بن علي بن خاتمة الأنصاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، كنيته أبو عبد الله، توفّي بالطاعون في ربيع الأول سنة 750 هـ.[5]

سادسا – سعد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، كان من أهل العلم بالحديث والعربية والفرائض، توفّي بالطاعون يوم السبت بعد صلاة العصر في 14 جمادى الثّانية من سنة 750 هـ.[6]

سابعا – محمّد بن محمّد بن محارب الصريحي (ت 750هـ/1349م): من سكّان مالقة، كان عالما بالفرائض والحساب والعربية، والفقه والأصول، كما كان يجيد كثيرا من العلوم العقلية، إضافة إلى أنّه كان مدرّسا وخطيبا بجامع الربض، توفّي بالطاعون في أواخر ربيع الثّاني من سنة 750 هـ، وتصدّق قبل موته بمال كثير إلى طلبة العلم، وأوقف كتبه لهم.[7]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج1، ص173.

[2] أبو الحسن النباهي المالقي (ت792هـ/1390م): **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، لبنان، 1983، ص148.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص ص266-269.

[4] المقري: المصدر السابق، ج5، ص516.

[5] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص ص491-493.

[6] أبو العباس أحمد ابن القاضي (ت1025هـ/1616م): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمّد الأحمدي أبو النور، دار التراث، ط1، القاهرة، مصر، 1971، ج3، ص ص292-295.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص ص78-79.

ثامنا – عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي (ت 750هـ/1349م): من سكّان بلش، يعرف بابن المرابع، كان من الشعراء المتميّزين، توفّي بالطاعون أواخر سنة 750 هـ.[1]

تاسعا – محمّد بن علي بن محمّد العبدري (ت 750هـ/1349م): من سكّان مالقة، ويعرف باليتيم، اشتغل خطيبا، وكان يقرأ كتب التفسير والحديث والرقائق بالمسجد على أهل بلده، كما مال في أواخر عمره إلى الاشتغال بالطبّ، توفّي بالطاعون في أواخر صفر سنة 750 هـ.[2]

عاشرا – عبد الرحمن بن عبد الملك الينشي (ت 750هـ/1349م): كنيته أبو بكر، توفّي في غرناطة بالطاعون سنة 750 هـ.[3]

حادي عشر – محمّد بن أحمد بن خميس الأنصاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان الجزيرة الخضراء، كان خطيبا، مشتغلا بالفقه وتلاوة القرآن، له عدّة مؤلّفات منها: النفحة الأرَجيّة في الغزوة المرَجِية، توفّي بالطاعون في أواخر جمادى الثّانية من سنة 750 هـ.[4]

ثاني عشر – محمّد بن سعيد بن يحي الأنصاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، يلقّب بالشداد، توفّي بالطاعون أوائل رجب من سنة 750 هـ، ودفن خارج باب بجانة، ويعتبر آخر من مات بالطاعون في ألمرية.[5]

ثالث عشر – محمّد بن أحمد بن عبد الله العطّار (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، اشتغل نائبا على القضاء، وتوفّي بالطاعون عام 750 هـ.[6]

رابع عشر – محمّد بن عبيد الله بن منظور القيسي (ت 750هـ/1349م): أصله من إشبيلية، ويكنّى بأبي بكر كان فقيها، وولي القضاء في مدن كثيرة من الأندلس، ثمّ استقرّ أواخر عمره بمدينة مالقة قاضيا وخطيبا، ثمّ توفّي بالطاعون في منتصف شهر صفر من سنة 750 هـ.[7]

---

[1] المقري: المصدر السابق، ج6، ص106. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص421-432.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص ص97-104.

[3] المقري: المصدر السابق، ج6، ص113.

[4] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص184-185.

[5] ابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص88.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص186-187.

[7] النباهي: المصدر السابق، ص154-155.

خامس عشر – محمّد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان مالقة، وكنيته أبو القاسم، كان من أهل العلم، ورحل إلى المشرق فتزوّد من الحديث، وكان قائما على تحفيظ القرآن وتجويده، مع ما كان يجيده من الحساب،[1] يروي ابن الخطيب قصّة موته بالطاعون فيقول: "صلّى الجمعة ظهرا، وقد لزم الفراش، ونفث دم الطاعون، ومات مستقبل القبلة، على أتمّ وجوه التأهب سابع شوّال من عام خمسين وسبعمائة"[2].

سادس عشر – سعد بن يوسف بن علي الرعيني (ت 749هـ/1348م): من سكّان ألمرية، توفّي بالطاعون أواخر سنة 749 هـ.[3]

سابع عشر – محمّد بن أحمد الأنصاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان غرناطة، كنيته أبو عبد الله، ويعرف بالمواق، كان خطيبا بقنجة، وبها توفّي بالطاعون في شعبان من سنة 750 هـ.[4]

ثامن عشر – أحمد بن قاسم بن عبد الله الجذامي (ت 749هـ/1348م): من سكّان ألمرية، وأصله من مرسية، كان من أهل الزهد، والشعر والكتابة، توفّي بالطاعون سنة 749 هـ.[5]

تاسع عشر – محمّد بن أحمد بن قاسم الأمي (ت 750هـ/1349م): من سكّان مالقة، يعرف بالقطّان، كان فقيها ومتكلّما، ومتصوّفا، أحبّه الناس لزهده وتورّعه، ولما قدم الطاعون، أقبلوا عليه يمدّونه بالأموال الكثيرة ليتصدّق بها، توفّي بالطاعون يوم الأربعاء 4 صفر سنة 750 هـ.[6]

عشرون – علي بن محمّد بن علي بن البنا (ت 750هـ/1349م): من سكّان وادي آش، كان ممّن اشتغل بالشعر، توفّي بالطاعون سنة 750 هـ، ولم يبلغ ثلاثين سنة.[7]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص226-227.

[2] نفسه، ص227.

[3] ابن القاضي: المصدر السابق، ج3، ص291-292.

[4] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص ص234-236.

[5] ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص ص133-135.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج3، ص241-242.

[7] المقري: المصدر السابق، ج6، ص131. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج4، ص ص167-169.

واحد وعشرون – علي بن يحيى الفزاري (ت 750هـ/1349م): من سكّان مالقة، يعرف بابن البربري، وكان مشتغلا بالشعر، توفّي بالطاعون سنة 750 هـ.[1]

ثاني وعشرون – أحمد بن أحمد بن هشام السلمي (ت 750هـ/1349م): يكنّى بأبي جعفر، توّفي بالطاعون يوم الجمعة 11 جمادي الأولى من سنة 750 هـ.[2]

ثالث وعشرون – قاسم بن يحيى بن محمّد الزروالي (ت 750هـ/1349م): كنيته أبو القاسم، ويعرف بابن درهم، كان زاهدا ورعا، ومجوّدا للقرآن ومدرّسا له، توفّي ببلده مالقة بالطاعون في أوائل صفر من سنة 750 هـ،[3] وكان آخر كلامه: "رزقنا الله عملا صالحا يقرّبنا إليه زلفى، وجعلنا ممّن يمرّ على عقبى الدنيا والآخرة مرور أهل التقوى"[4].

رابع وعشرون – أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي (ت 750هـ/1349م): كان ممّن قرأ الطبّ، وولي القضاء بلوشة، وتوفّي في الطاعون سنة 750 هـ.[5]

خامس وعشرون – قاسم بن محمّد بن الجدّ العمري (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، وكنيته أبو القاسم، توفّي بالطاعون سنة 750 هـ.[6]

سادس وعشرون – أحمد بن أبي قاسم بن عبد الله الخولاني (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، ويكنى بأبي جعفر، كان شاعرا وكاتبا حسن الخطّ، توفّي بالطاعون سنة 750 هـ، وعمره 70 سنة.[7]

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج4، ص194-195.

[2] ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص73-74.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج4، ص263-264.

[4] نفسه، ص164.

[5] ابن حجر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح: محمّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، صيدر آباد، الهند، 1972، ج1، ص215.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج4، ص ص265-267.

[7] ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المصدر السابق، ج1، ص279-280.

سابع وعشرون – يحي بن علي بن أحمد بن علي القيسي (ت 750هـ/1349م): من سكّان ألمرية، يعرف بابن زرقالة، كان أديبا شاعرا، وله نظم في الطبّ وعلم النجوم، توفّي بالطاعون يوم الثلاثاء 3 محرّم من سنة 750 هـ.[1]

المبحث الثّاني: الآثار الاقتصادية والثقافية للطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر

أولا– الآثار الاقتصادية للطاعون على الأندلس في عهد بني الأحمر: لقد كان لطاعون سنة 749هـ/1348م، آثار كبيرة على الحياة الاقتصادية في الأندلس، حيث هلكت بسببه أعداد كبيرة من السكّان، وتمكّن من إفساد الزروع، ولم تسلم منه حتّى حيتان البحر، وحيوانات البر.[2] ويعدّه الباحثون من أفتك الطواعين التي شهدتها البشرية، بما أنّها لا تعدو أن تكون الطواعين التي سبقته قطرة في بحر أو نقطة في دائرة إذا ما قارنّاها بطاعون سنة 749هـ/1348م.[3] ومن أبرز الآثار الاقتصادية التي أحدثها هذا الطاعون على بلاد الأندلس نجد:

1– نقص الموارد الاستهلاكية واليد العاملة وغلاء الأسعار: لقد أدّى الطاعون إلى إحداث فراغ ديمغرافيّ كبير على المجتمع الأندلسي، وذلك بما خلّفه مِن أعداد كبيرة من الموتى. وقد أدّت كثرة الموتى بالضرورة إلى نقص حادّ في الموادّ الأولية الاستهلاكية،[4] وندرة في اليد العاملة،[5] وبما أنّ فئة الفقراء والمتوسّطين في المجتمع كانت أكثر من تعرّض للطاعون وتضرّر به، فقد ساهمت في شلّ حركة الاقتصاد باعتبارها الفئة الكبرى المكوّنة لليد العاملة، في مختلف القطاعات، سواء الصناعية أو الفلاحية أو التجارية، وهذا ما أدّى بشكل كبير إلى تقهقر في قُوَى العمل، وندرة في السلع والمصنوعات.[6]

---

[1] ابن القاضي: المصدر السابق، ج3، ص330-331.

[2] المقريزي: المصدر السابق، ج4، ص81.

[3] الياقوت شقرون: "المجاعات والأوبئة بمدينة فاس في العصر الوسيط"، **مجلة فكر العلوم الإنسانية والإجتماعية**، وزارة الثقافة، المغرب، ع15، 2016، ص173.

[4] عبد الهادي بياض: **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6–8 هـ/12–13 م)**، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص97.

[5] الياقوت شقرون: المرجع السابق، ص179.

[6] فاطمة الزهراء بن تومية: صورة الطاعون الأسود عند المغاربة في العصر الوسيط، ضمن: مجموعة مؤلفين: **الأزمات والهشاشة بالمغرب مقاربات متقاطعة**، مطابع الرباط، دط، المغرب، 2019، ص170.

يقول أحد الباحثين: "ومن الطبيعي أنّ ارتفاع عدد الهلكى يعطّل وربما يشلّ النشاطات الاقتصادية، فهو يمنع الزرع والحصاد ويؤدّي إلى إهمال المواشي والدّواب... وكثرة الموتى تعني قلّة اليد العاملة في المدينة والريف، وهذا يؤثّر سلبا على إنتاج المواد الغذائية فتصبح نادرة ممّا يولّد المجاعة، وفعلا قد كان الطاعون الأعظم بإفريقية مصحوبا بالمجاعة وبارتفاع السعر..."[1].

كما أنّ الطاعون ساهم في هجرة أهل الريف إلى المدن، وهذا ما أدّى ضرورة إلى إتلاف الحقول والمزروعات لعدم وجود يد عاملة تجني المحاصيل، ممّا دفع ملّاك الأراضي إلى دفع أجور جدّ عالية للعمّال من أجل أعمال بسيطة، وكان من نتيجة هذا ندرة المواد الأولية وحدوث المجاعات في المناطق التي مسّها الطاعون.[2]

2- تكديس الثروة وبروز الفقر: إضافة إلى ما سبق فإنّ الطاعون أدّى إلى تكدّس في الثروة بالنسبة للأغنياء جرّاء وفاة منافسيهم من جهة، وازدياد الفقر والعوز عند الفقراء من جهة أخرى، مما زاد الهوة بين الأثرياء وأهل الحاجة في المجتمع،[3] وبالّغم من هذا إلاّ أنّ الأندلسيين مارسوا نوعا من التكافل الاجتماعي جرّاء الطاعون، فقد ذكرت المصادر أنّ بعض الناس قصدوا أحد القضاة في الأندلس وقدّموا له أموالهم وحليّهم ليصرفها على الفقراء والمحتاجين.[4]

---

[1] أحمد السعداوي: "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين الذي تلته القرنين 8-9/14-15م"، **مجلة إيبلا**، معهد الآداب العربية الجميلة، تونس، ع175، 1995، ص123.

[2] نغم عدنان أحمد: "المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة"، **مجلة التربية والعلم**، جامعة الموصل، العراق، ج19، ع1، 2012، ص18. جوزيف بيرن: **الموت الأسود**، تع: عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص411.

[3] Yves Renouard: "Conséquences et intérêt démographique de la Peste noire de 1348", **Institut national d'études démographiques**, France, N3, 1948, p 465-466

[4] المقري: المصدر السابق، ج5، ص389.

3- ركود التبادل التجاري: لقد أدّى طاعون سنة 749هـ/1348م إلى تراجع التبادل التجاري بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي،[1] ومرجع ذلك إلى التخوّف من انتشار العدوى،[2] وهذا ما أثّر على أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية كالقمح والشعير حيث غلت غلاء كبيرا.[3]

ولم تكن هذه الآثار الاقتصادية للطاعون خاصة بالعالم الإسلامي فقط، بل شملت كذلك الممالك النصرانية في إسبانيا، فقد وُجدت بعض الوثائق المحفوظة في برشلونة وجيرونا، ترجع إلى صيف 749هـ/1348م، تشير إلى أنّ العمال كانوا يطالبون بأجر أعلى بأربع إلى خمس مرّات من أجرهم المعتاد.[4] وليس من المستغرب أيضا أن تتزايد أعمال النهب والسرقات جرّاء الطاعون، وهذا ما وجد فعلا في وثائق خاصّة بمملكة فالنسيا تعود إلى سنة 749هـ/1348م، يأمر فيها الحاكم بمحاكمة الأفراد الذين نهبوا منازل الأشخاص الذين استسلموا للوباء.[5]

ثانيا- الآثار الثقافية للطاعون على الأندلس في عهد بني الأحمر: لقد خلّف طاعون سنة 749هـ/1348م آثارا كبيرة على الحياة الثقافية في المجتمع الأندلسي، ومن أبرز آثاره:

1- موت العلماء والفقهاء: وهذا ما أثر سلبا على الحياة العلمية والفكرية،[6] يقول ابن خلدون: "ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبّا على تحصيل العلم، حريصا على اقتناء الفضائل، متنقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة"[7]، وقد تناولنا في المبحث الأول جمعا من العلماء الذين ماتوا بالطاعون، ولابدّ أن يكون لموتهم أثر كبير على الحياة الثقافية، من حيث تعليم العوامّ، وتأليف المؤلفات، وإفتاء الناس وما إلى ذلك.

---

[1] جوزيف بيرن: المرجع السابق، ص411.

[2] رشيد يماني: "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة"، المرجع السابق، ص50.

[3] أبو عبد الله محمّد بن أحمد ابن الشماع (ت873هـ/1469م): **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمّد المعموري، الدار العربية للكتاب، دط، تونس، 1984، ص98.

[4] Charles Verlinden: "La grande peste de 1348 en Espagne. Contribution à l'étude de ses conséquences économiques et sociales", **Revue belge de philologie et d'histoire**, Bruxelles, Belgique, T:17, N[1-2], 1938, p 107.

[5] Charles Verlinden: op cit, p 112.

[6] سمية مزدور: المرجع السابق، ص248.

[7] ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص532.

2- مساهمة الفقهاء والعامة في الوقاية والعلاج من الطاعون: لقد ساهم الفقهاء والعلماء الذين عاشوا الطاعون ونجوا منه في العلاجِ والوقاية. ولكنّ أغلب الحلول التي قدّموها لمواجهة الطاعون تمثّلت في الدعاء والتضرّع والدعوة إلى التوبة والإنابة، يقول أحدهم في طرق دفع الطاعون: "ذكر المتأخّرون فيما يتوسّل به إلى الله تعالى في كشف الكرب العظيم وسائل ثلاث، الوسيلة الأولى: الدعاء على ما رجّحه غير واحد من شيوخ المذهب... الوسيلة الثّانية: كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم... الوسيلة الثّالثة: الصلاة لما في السنن أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة"[1].

وقد ذهب البعض الآخر إلى إيراد صيغ وطرق معيّنة يتمّ بها دفع الطاعون، منها ما ذكره محمّد ابن منظور القيسي قال: "ومن الأدعية كذلك وكانوا يوصون به: اللهمّ سكّن فتنة صدمات قهرمان الجبروت، بألطافك النازلة من باب الملكوت حتى تتشبّه بأذيال قدرتك، ونعتصم بك يا ذا القدرة الكاملة، والرحمة الشاملة، يا ذا الجلال والإكرام..."[2].

بينما دعا البعض الآخر بأدعية غريبة كقولهم: "إنُومي دُومِي مَر بَطَرِي كَنَا سَنَدَام مَمُنُوا بِنَطَاس، كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويّ عزيز، الرقيب المقتدر..."[3]. وذهب البعض الآخر إلى أنّ كتابة بعض الأدعية في أوراق وتعليقها على الرأس ينفع لدفع الطاعون.[4] كما ذهب آخرون إلى أنّ من طرق علاج الطاعون والوقاية منه: التّختُّم بالياقوت، والآس الطريّ، وتعليق قطعة من النرنج داخل البيت،[5] وذهب البعض الآخر إلى الاعتقاد بأنّ قراءة صحيح البخاري وختمه نافعة في دفع الطاعون.[6]

---

[1] شمس الدين محمّد بن علي ابن الأزرق (ت896هـ/1491م): **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح: علي سامي النشار، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2008، ج2، ص ص538-540.

[2] أبو عمر محمّد بن منظور القيسي (ت750هـ/1349م): **وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد**، مخطوط بخزانة محمّد المنوني، الرباط، المغرب، در، ورقة 7.

[3] محمّد المواق (ت897هـ/1492م)، محمّد الرصاع (ت894هـ/1489م): **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**، تح: محمّد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2007، ص119.

[4] محمّد بن فتح الله البليوني (ت1042هـ/1633م): **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون**، مخطوط بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ر:5605، ورقة 3.

[5] الشقوري: المصدر السابق، ص263.

[6] محمّد المواق، محمّد الرصاع: المصدر السابق، ص122.

3- حدوث نوازل فقهية جديدة: لقد أدّى الطاعون إلى حدوث نوازل فقهية جديدة، ساهم الفقهاء في إيجاد حلول لها، منها: ما ذُكر في نوازل القاضي ابن سراج الأندلسي في أنّ من ضاع في زمن الطاعون أو توجّه إلى بلد فيه طاعون فإنّه يعدّ من قبيل الأموات، فتعتدّ امرأته، ويقسم ميراثه.[1]

ومنها أيضا النازلة التي سئل عنها ابن لب الغرناطي: "عمّن وقع فيهم الوباء ففرّوا عن بعض ما يجب عليهم من حقوق إخوانهم لما عاينوا من سريان الوباء في الأكثر هل في ذلك فسحة أم لا؟ وقد أشرفوا في بعض المواضع على الفناء أجمعون، فأجاب: القيام بحقوق المسلمين من التمريض والغسل والدفن فرض لا يجوز إهماله، وكذلك عيادة المرضى فما رغّب الشرع وحض عليه فلا ينبغي ترك ذلك..."[2]

ومنها أيضا الأسئلة التي أرسلها أحد الأندلسيين إلى علماء تونس يطلب منهم الفتوى بخصوص حقيقة الطاعون وسببه وحكم الفرار منه وما يتعلق بذلك من مسائل فقهية وعلمية.[3]

كما أثار الطاعون قضية أخرى، وهي الموقف من العدوى، ما جعل أطباء الأندلس يتناولون هذه المسألة، فيقول ابن الخطيب: "فإن قيل كيف نسلّم دعوى العدوى، وقد ورد الشرع بنفي ذلك، قلنا: وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحسّ والمشاهدة والأخبار المتواترة..."[4]، ويقول ابن خاتمة: "الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه أن هذا الداء يسري شرّه ويتعدى ضرّه، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة، فما من صحيح يلابس مريضا ويطيل ملابسته في هذا الحادث إلا ويتطرّق إليه إذايته ويصيبه مثل مرضه، عادة غالبا أجراها الله تعالى، والفعل في الأوّل والثاني للحقّ جلّ جلاله خالق كل شيء، نفيا للتوليد الذي يذهب إليه أهل الضلال، وإبطالا للعدوى التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية، وإعلانا بالحقّ الذي قام عليه شاهد الوجود..."[5]. ويردّ ابن الخطيب عمّن أنكر العدوى من الأندلسيين فيقول: "وبالجملة فالتصامم عن مثل هذا الاستدلال زعارة وتصاقر

---

[1] ابن سراج الأندلسي: المصدر السابق، ص154.

[2] أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت914هـ/1508م): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: محمّد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دط، المغرب، 1981، ج11، ص358.

[3] محمّد المواق، محمّد الرصاع: المصدر السابق، ص89.

[4] ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص113-114.

[5] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص157.

على الله واسترخاص لنفوس المسلمين"[1]. وحسب ابن الخطيب فإنّ العديد ممّن أنكروا كون الطاعون ينتشر بالعدوى قد رجعوا عن قولهم، واعترفوا بخطئهم.[2]

4- كتابة المؤلفات والرسائل حول الطاعون: من الآثار الثقافية للطاعون على بلاد الأندلس، والعالم الإسلامي عموما، تأليف بعض المؤلّفات والرسائل بخصوص الطاعون وطرق التداوي منه،[3] ومن بين هذه المؤلّفات:

1- رسالة مُقنعة السائل عن المرض الهائل للسان الدين ابن الخطيب، وصف فيها ظروف الوباء وأسبابه وأعراضه وطرق الوقاية منه.[4]

2- رسالة تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد لابن خاتمة الأنصاري، فصّل فيه ماهية الطاعون، وأعراضه، وطرق الوقاية والعلاج منه.[5]

3- كتاب تحقيق النبأ عن أمر الوباء، ورسالة النصيحة لمحمّد بن علي اللخمي الشقوري، قدّم فيهما وصفا للطاعون وطرق الوقاية منه.[6]

4- إصلاح النية في المسألة الطاعونية، لمحمّد بن محمّد بن جعفر بن مشتمل.[7]

5- كتاب في الطاعون، لابن صفوان المالقي.

6- وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد، لابن منظور القيسي، قسّم رسالته إلى ثلاثة فصول، أغلبها متعلّق بالأدعية والتدابير الواجبة للوقاية من الوباء.[8]

---

[1] ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص115.

[2] نفسه.

[3] محمّد الأمين البزاز: **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دط، الرباط، المغرب، 1992، ص387.

[4] ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص107 وما بعدها.

[5] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص125 وما بعدها.

[6] رشيد يماني: "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري"، المرجع السابق، ص120. الشقوري: المصدر السابق، ص255 وما بعدها.

[7] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، المصدر السابق، ج2، ص365.

[8] رشيد يماني: "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري"، المرجع السابق، ص121.

المبحث الثّالث: الآثار الاجتماعية للطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر

لقد أثّر طاعون منتصف القرن الثامن هجري على الحياة الاجتماعية في الأندلس في عدّة جوانب، وأحدث تغييرات على مستوى بنية المجتمع وذهنيته، ولشدّة فتك هذا الطاعون وقوّته سمّاه الأندلسيون وباقي المصادر التاريخية بأسماء توحي بأثره الشديد، مثل: الطاعون الأعظم، المرض الوافد، الطاعون الجارف، الموت الأسود.[1] ومن آثاره التي وجدناها على المجتمع الأندلسي في عهد بني الأحمر:

أولا– زيادة مستوى التديّن داخل أفراد المجتمع: لقد ولّد الطاعون لدى المجتمع الأندلسي خوفا من عقاب الله وازديادا ملحوظا في التديّن بين الأفراد، يقول ابن خاتمة عن تعامل الأندلسيين بعد خمود الطاعون: "وقد خفّ لذلك خاصّة أهل بلدنا وعامّتهم، والحمد لله تعالى، فأظهروا الإنابة ولاحت عليهم شمائل الاستقامة، وبسط الله سبحانه أيديهم بالخير، فأطعموا المساكين وبذلوا لهم المعروف، وكسوا العرايا وجهّزوا اليتامى، وفكّوا الأسارى، والتمسوا من فضل الله سبحانه ما يلتمسه العبد من مولاه الذي لا يجد في الشدّة والرجّاء سواه"[2].

وممّا ذكرته المصادر تبرّع الأندلسيين بالعديد من أموالهم وحليّهم لقاضي مالقة، ليصرفها في مساعدة الفقراء وطلبة العلم، والغرباء، وحفر القبور للموتى من الطاعون،[3] ونفس هذه الممارسات وجدت في الممالك النصرانية في الأندلس، إذ أنّ الكنائس كانت قد استفادت جدّا من الهبات والصدقات التي كان يقدّمها النصارى بعد موجة الطاعون.[4] وكذلك فرضت حكومات النصارى قوانين زاجرة ضدّ من يشرب الكحول أو يمارس البغاء بعد أن حثّها رجال الدين على ذلك.[5]

ومن أسباب جنوح الأندلسيين إلى شدّة التديّن والصدقات، عجزهم أمام الطاعون، وعدم تمكّن الأطبّاء من إيجاد علاج له، ما دفعهم إلى التسليم واعتبار الطاعون قضاء لا مفرّ منه،[6] واعتبروا أنّ

---

[1] فاطمة الزهراء بن تومية: المرجع السابق، ص169.

[2] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص208.

[3] النباهي: المصدر السابق، ص156.

[4] Charles Verlinden: op cit, p 142.

[5] جوزيف بيرن: المرجع السابق، ص409.

[6] أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص135.

العلاجات التقليدية والتوسّل إلى الله بالدعاء والإنابة، هي الوسيلة الوحيدة للتشبّث بالحياة، وربما هذا ما يفسّر عدم تدخّل الدولة في مواجهة الطاعون، مقارنة بتدخّلها في مواجهة المجاعات والقحط.[1]

ومن المؤشّرات كذلك على انتشار فكرة التديّن في المجتمعات التي تأثّرت بالطاعون، الحركة الدينية التي ولدت في أوروبا وتعرف بحركة السيّاطين، وهي مجموعة أشخاص كانوا يجوبون شوارع أوروبا، يقومون بجلد أجسامهم، وتلاوة بعض الترانيم المسيحية المتعلّقة بالمغفرة والتوبة، معتقدين أنّ ذلك يساعد على اجتناب الطاعون وإبعاده.[2]

ثانيا– انتشار الخوف والرعب في المجتمع: لقد ولّد الطاعون مجتمعا خائفا من العدوى والأمراض، من ذلك ما ذكر ابن الخطيب أنّ أحد الزهاد من مدينة فاس: "تزوّد لمدّة، وبنى باب منزله على أهله وهم كثيرون، وفنيت المدينة، ولم يرزأ نسمة واحدة بطويل تلك المدة"[3].

كما دفعهم هذا الخوف إلى ابتغاء كلّ السبل الممكنة للعلاج، منها ما ذكره ابن خاتمة، من أن الأندلسيين كانوا يفتصدون ويعالجون أنفسهم من الطاعون من دون الرجوع إلى الطّبيب ولا استشارته.[4]

ومن مؤشرات خوف الأندلسيين الشديد من الطاعون هو تناول المصادر المعاصرة له، وتطرّقها إلى حيثياته، وتخصيص العديد من الكتب في ماهيته وأسبابه وطرق العلاج منه، ما جعل الطاعون يرسخ في الذاكرة الجماعية للأندلسيين،[5] ومن الطبيعي أن تساهم الأوبئة والأمراض والنكبات الاجتماعية في تغيير سلوك الإنسان، بحيث يغلب عليه في مثل هذه الأزمات حبّ الذات وبروز المصلحة الشخصيّة، والخوف على النفس، وبذل كل الأسباب من أجل البقاء على قيد الحياة.[6]

---

[1] فاطمة الزهراء بن تومية: المرجع السابق، ص173.

[2] روبرت س جوتفريد: **الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى**، تع: أبو أدهم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2017، ص ص106-108.

[3] ابن الخطيب: مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص114.

[4] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص146.

[5] أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص119.

[6] الياقوت شقرون: المرجع السابق، ص173.

ثالثا– تأثّر بنية المجتمع: لقد كان لكثرة الموتى، تأثير كبير على بنية المجتمع،[1] فقد بلغ عدد الوفيات في الأندلس عددا كبيرا جدّا، منها ما ذكرته بعض المصادر من أنّ عدد الأموات في مدينة مالقة بلغ ما يفوق ألف ضحية في اليوم،[2] وفي ألمرية سبعين ضحية في اليوم، بينما بلغ عددهم في بلنسية ألفا وسبعمائة ضحيّة في اليوم، وفي تونس ألفا ومائتي ضحية في اليوم، وفي تلمسان سبعمائة ضحية في اليوم،[3] ولا نستطيع مع نقص المصادر من التحقّق من عدد الضحايا الحقيقي، ولكن من المحتمل أنّ نسبة الوفيات كانت في حدود 25 إلى 50 بالمائة من مجموع السكان، وهذا ما يجعل طاعون 749هـ/1348م كارثة ديمغرافية لا يمكن إنكارها،[4]إذ أنّ كثرة الوفيات والأرقام الكبيرة للضحايا تؤدّي بالضرورة إلى انعكاسات سلبيّة تستمر لفترة بعيدة المدى،[5] منها انتشار الفوضى والخوف من العدوى، إضافة إلى أنّها تزرع الحزن واليأس والإحساس بالضياع والتشاؤم داخل أفراد المجتمع، خاصة أنّ الطاعون كان يحصد عددا كبيرا من الأرواح، تتعدّى النطاق الضيّق للأسرة، لتمسّ المدينة ثمّ المجتمع بكامله، في ظرف قصير وبوتيرة متسارعة، ممّا يوحي لأفراد المجتمع أنّه سيستأصل كلّ سكان المدينة،[6] وهذا ما خلّف أثرا في ذاكرة المجتمعات، "فنجدهم يتذكّرون الماضي بالإحالة على مآسيه وصعوباته مثل المجاعات والأوبئة"[7].

رابعا– ازدياد ظاهرة الهجرة: وقد كانت هذه الظّاهرة من التأثيرات الواضحة للطاعون على بلاد الأندلس وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، ورغم أنّ بعض الفقهاء حذّروا من الفرار هربا من الطاعون،

---

[1] سمية مزدور: المرجع السابق، ص224.

[2] النباهي: المصدر السابق، ص156.

[3] ابن خاتمة: المصدر السابق، ص143.

[4] Stephane Barry, Norbert Gualde: "La Peste noir dans L'occident chrétien et musulman 1347-1353", **Bulletin canadien d'histoire de la médecin**, Canada, T:25, N^2, 2008, p 477.

[5] عثمان المنصوري: "فترات الاستراحة وأثرها على الأوضاع بالمغرب في القرن السادس عشر"، ضمن: مجموعة مؤلفين: الأزمات والهشاشة بالمغرب مقاربات متقاطعة، المرجع السابق، ص176.

[6] أحمد العدوي: **الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، قطر، 2018، ص97. الياقوت شقرون: المرجع السابق، ص179-180.

[7] آسيا بنعدادة وآخرون: **المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب**، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، دط، الرباط، المغرب، 2011، ص97.

إلاّ أنّ العديد من المسلمين هاجروا مدنهم المصابة بالطاعون نحو مناطق لم يصلها الوباء "حتّى خلت الدور، وعمرت القبور، وخرج أكثر الفقهاء والفضلاء"[1].

كما هاجر العديد من سكان الريف إلى أقرب مدينة ليبحثوا عن أيّ شيء يساعدهم في معيشتهم اليومية،[2] يقول أحد الباحثين حول دور الأوبئة في هجرة أفراد المجتمع: "يمكن التأكيد على دور الأوبئة في إجبار إنسان المغرب والأندلس على الهجرة والفرار كسلوك يعكس رغبته في البقاء، فصارع الموت البطيء بكلّ الوسائل بما فيها الفرار والهجرة العفويّة والمنظّمة إلى حيث اعتقد النجاة والخلاص، غير أنّ خيار التحرّك كان محفوفا بنقل العدوى إلى المناطق السليمة فتوالى على الفارّين البلاء والمحنة والجلاء، خوفا من شبح الجوع والوباء ومطاردة الموت، فكانت تحرّكاتهم مقصودة أحيانا، وعفوية باتجاه مجهول أحيانا كثيرة"[3].

أدّت الهجرة خوفا من الطاعون إلى نتائج عكسية، منها خلخلة التوازن السكّاني،[4] وخلق بلبلة وفوضى في عامّة البلاد، إضافة إلى انتشار العدوى بين الناس "ففي غمرة الفرار والبحث عن مكان آمن خال من أثر الوباء، كان الكلّ يلتقي بالكلّ، وبالتالي فالكلّ معرّض للعدوى، وكأنّ الناس يخرجون بحثا عن الوباء..."[5]. ومن المحتمل كذلك أنّ من أسباب انتشار العدوى جهل المجتمع بحقيقة الوباء، إذ اعتاد البعض عند زيارة مرضاهم مسّ الأورام الطاعونية من باب التنبّؤ بحال المريض، فإذا كان الورم ليّنا استبشروا الشفاء لصاحبه، وإن كان الورم خشنا يئسوا من شفاء صاحبه، وهذا ما سرعّ وتيرة انتشار الوباء بين الأفراد.[6]

وقد لخّص ابن خلدون آثار الطاعون على بلاد الغرب الإسلامي عموما، إذ أنّه عاصر الحدث ولاحظ ما أحدثه من تغييرات على مجتمع الغرب الإسلامي، فقال: "... هذا إلى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيّف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى

---

[1] النباهي: المصدر السابق، ص156.

[2] جوزيف بيرن: المرجع السابق، ص407-408.

[3] عبد الهادي بياض: المرجع السابق، ص129.

[4] الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، دط، المغرب، 2002، ص52.

[5] الياقوت شقرون: المرجع السابق، ص180.

[6] أحمد العدوي: المرجع السابق، ص97.

كثيرا من محاسن العمران ومحاها... فقّلص من ظلالها، وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدّل الساكن"[1].

من خلال ما سبق يتبيّن لنا أنّ طاعون سنة 749هـ/1348م أثر تأثيرا شديدا على مجتمع الغرب الإسلامي عموما، والأندلس خصوصا، وأحدث تغييرات جذرية في بنية المجتمع، ممّا لم تحدثه الكوارث الأخرى كالزلازل والسيول. وقد تميّز ردّ فعل الأندلسيين حيال هذا الطاعون ببذل الجهد في الوقاية منه بكلّ السبل الممكنة، وأغلب هذه السبل كانت قائمة على الشعائر الدينية من دعاء واستغفار وإنابة، إضافة إلى التداوي بالعلاجات البسيطة والمتواضعة، والهجرة نحو الأماكن والمناطق التي لم يتفشّ فيها الطاعون.

ومن الملاحظ كذلك، أنّ الآثار الاقتصادية للطاعون تمّثلت في غلاء الأسعار ونقص المواد الأوليّة، وتعطّل التجارة والصناعة، نظرا لكثرة الوفيات بين أفراد المجتمع من الصنّاع والتجّار والحرفيين.

أمّا في الجانب الثقافي فقد قتل الطاعون العديد من العلماء الأندلسيين، وساهم الفقهاء الذين بقوا على قيد الحياة في إيجاد حلول للوباء من خلال دعوتهم إلى الدعاء ببعض الأدعية والطرق التي يعتقدون أنّها تقي من الطاعون. كما ساهم الأطباء والفقهاء في تأليف العديد من المؤلّفات حول الطاعون، متناولين ماهيته وأسبابه وطرق الوقاية منه.

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، ص43.

الخاتمة

بعد تناولنا لكل جزئيات الدراسة بفصولها ومباحثها، استطعنا من خلال البحث استخلاص بعض النتائج. نذكرها في النقاط الآتية:

- الطاعون هو مرض معد سريع الانتشار، يستهدف الرئة والجلد، ويعتبر نوعا من أنواع الأوبئة، إذ ليس كلّ وباء طاعونا، ولكنّ كلّ طاعون وباء.
- هناك ثلاثة أنواع رئيسية من الطاعون، ولكلّ نوع منها أعراضه، ومدى خطورته، ومعدّل قتله.
- شهدت الأندلس قبل عهد بني الأحمر موجات كثيرة من الطاعون، ابتداء من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن السابع الهجري، ولكنّ الكثير من المصادر في العصر الوسيط تخلط بين الوباء والطاعون وتسمّيهما بمسمّى واحد.
- لقد كان الطبّ في الأندلس خلال عهد بني الأحمر متطوّرا نسبيا، وذلك ببروز العديد من الأطبّاء الذين ألّفوا في هذا العلم بعض الكتب، ومارسوا العلاج من خلال وصف الأدوية والقيام بالعمليات الجراحية وغيرها. كما اهتمّت دولة بني الأحمر بالطبّ، ونلمس ذلك في بنائها لمستشفى غرناطة الذي كان يَفِدُ إليه المرضى للعلاج.
- تعتبر بلاد الصين المنشأ الأوّل لطاعون سنة 749هـ 1348م، حيث بدأ فيها ثمّ انتشر في أوروبا، ثمّ في الأندلس وباقي مناطق العالم.
- تعدّدت أسباب اجتياح الطاعون للأندلس على عهد بني الأحمر حسب المصادر التاريخية، فمنهم من أرجعها إلى أسباب غيبية كحركة النجوم وغيرها، كما أرجعها البعض كذلك إلى بعض الأسباب الطبيعية، مثل: فساد الهواء وتلوّثه، والعدوى وسرعة انتشار المرض بين الأفراد، والاختلاف في نمط العيش ومستوى المعيشة.
- ساعد الموقع الجغرافي لمملكة بني الأحمر في دخول الطاعون إليها عن طريق التجّار القادمين من جنوة وإيطاليا.
- اجتاح طاعون سنة 749هـ/1348م مناطق كبيرة من العالم، ولم يقتصر على بلاد الأندلس فقط، بل شمل كلّا من: جنوة، صقلية، أوروبا، الشام، مصر، غزّة، تونس، تلمسان، المغرب الأقصى، بلاد الصين.

- حصد طاعون سنة 749هـ/1348م عددا ضخما من أرواح السكّان، ورغم أنّ المصادر لا تذكر الأعداد الحقيقية، لكنّ الأعداد التقريبية التي قدّمتها تؤكّد على شدّة هذا الطاعون وأضراره الجسيمة، على المجتمع الأندلسي خصوصا، ومجتمع الغرب الإسلامي عموما.
- لم يستسلم الأطبّاء الأندلسيون للطاعون بل قدّموا العديد من الحلول من أجل التصدّي له ومكافحته، ومن الحلول التي اتّخذوها: تشخيص المرض بذكر أسبابه وماهيته. ثمّ وصف طرق الوقاية منه، كالتقليل من الأكل المتعفّن، وعدم مخالطة المرضى، والحفاظ على نظافة الجسم وغيرها. ثمّ تقديم وصفات علاجية لهذا الطاعون، حسب نوع الطاعون الذي يصاب به المريض.
- رغم مواجهة الأطبّاء الأندلسيين له إلّا أنّ طاعون سنة 749هـ/1348م قضى على فئة كبيرة من الأدباء والعلماء والشعراء الأندلسيين.
- أثّر طاعون سنة 749هـ/1348م على الحياة الاقتصادية في الأندلس، وذلك من خلال: تكديس الثروة، ونقص الموارد الاستهلاكية واليد العاملة، وتدهور المبادلات التجارية بين الأندلس والبلدان الأخرى المجاورة.
- أثّر طاعون سنة 749هـ/1348م على الحياة الثقافية الأندلسية من خلال: موت العلماء والفقهاء، حدوث نوازل فقهية جديدة بخصوص الطاعون، وكتابة مؤلّفات حول الطاعون وماهيته وأسبابه.
- إضافة إلى التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية فإنّ طاعون سنة 749هـ/1348م، أثّر كذلك على الحياة الاجتماعية، ويتجلّى ذلك في: زيادة مستوى التديّن داخل أفراد المجتمع، وانتشار الخوف والرعب في المجتمع الأندلسي، وتأثّر بنية المجتمع، وازدياد ظاهرة الهجرة.

الملاحق

الملحق رقم (01): خريطة انتشار طاعون سنة 749هـ/1348م[1]

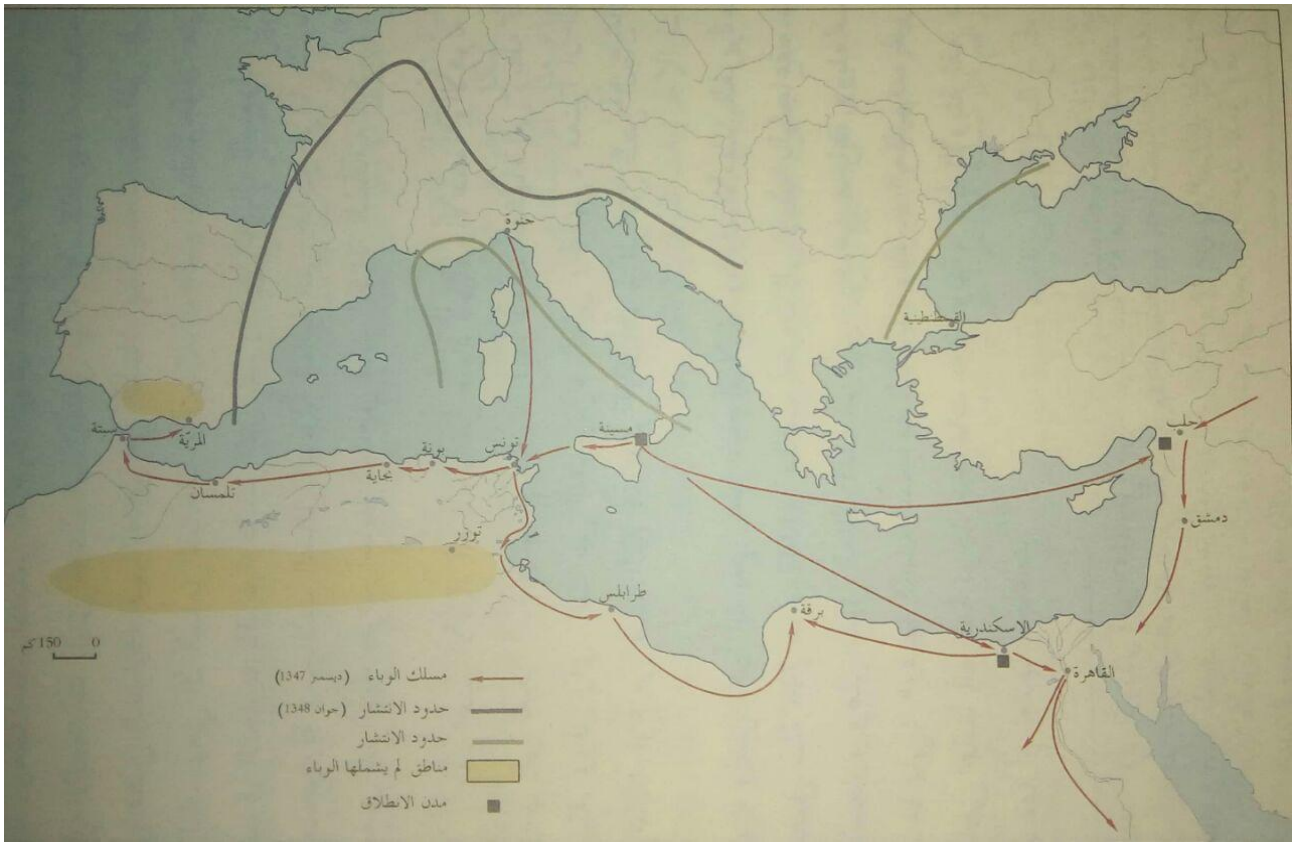

[1] محمّد المواق، محمّد الرصاع: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص55

الملحق رقم (02): العدد التقريبيّ للوفيات اليوميّة بطاعون سنة 749هـ[1]

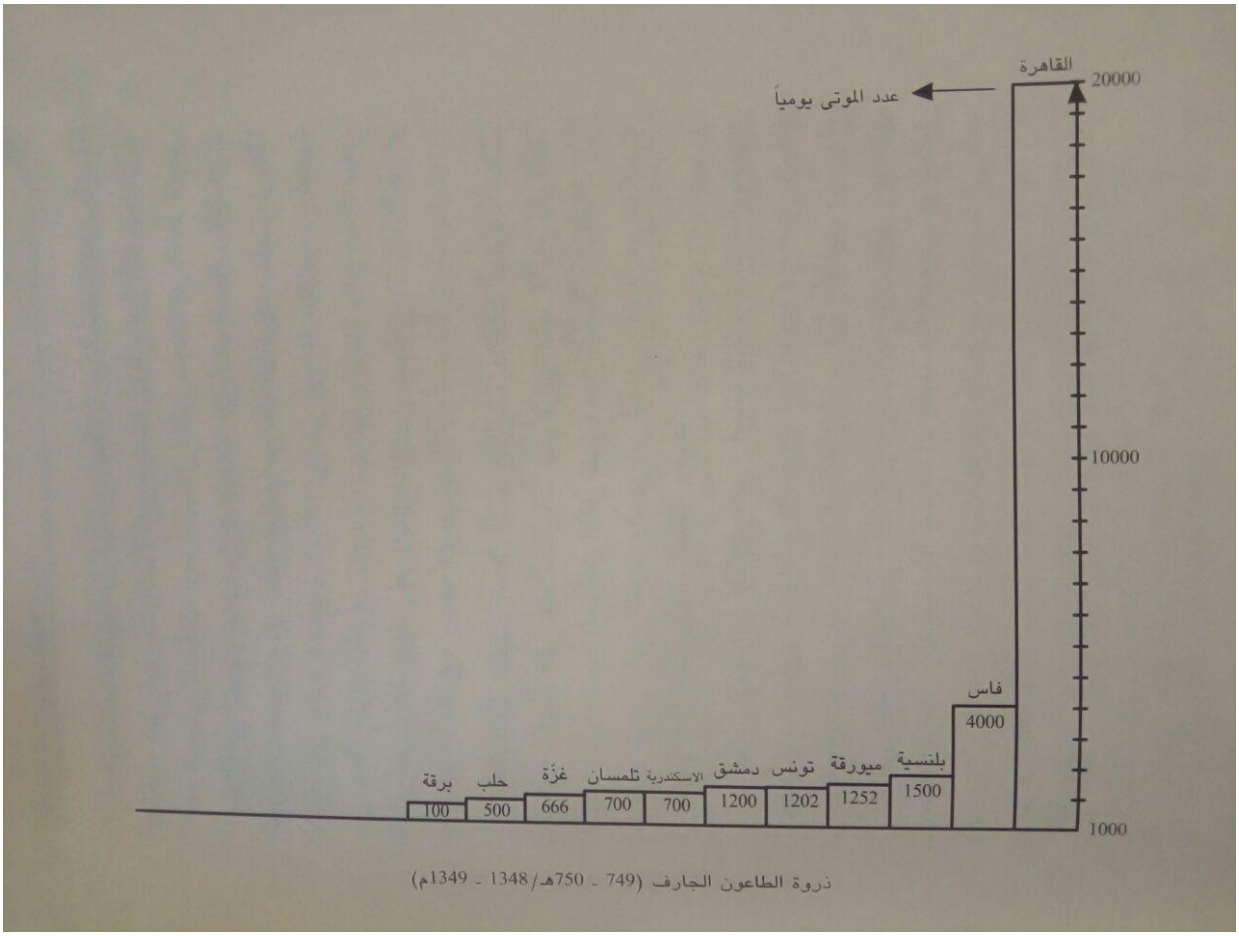

[1] محمّد المواق، محمّد الرصاع: المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص64.

الملحق (03): مخطط تقريبي لمدينة ألمرية خلال القرن 8 هـ[1]

[1] محمّد حسن: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، مقدمة المحقق، ص60.

فهرس الأعلام

أبقراط، 36
ابن أبي مدين، 38
أحمد بن علي ابن خاتمة الأنصاري، 31، 35، 36، 37، 38، 39، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 51، 60، 61، 62، 63
ابن سراج، 29
ابن سينا، 10
ابن عذاري المراكشي، 14
ابن لب الغرناطي، 60
أبو الحسن بن الحباب، 51
أبو الحسن علي بن سعد، 27
أبو جعفر أحمد بن محمّد بن يوسف الأنصاري، 29
أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل، 28، 31
أبي جعفر الكرني، 30
أبي عبد الله بن سالم، 29
أحمد بن أبي قاسم بن عبد الله الخولاني، 55
أحمد بن أحمد بن هشام السلمي، 55
أحمد بن عبد الله بن عبد المنعم الهاشمي الطنجالي، 55
أحمد بن قاسم بن عبد الله الجذامي، 54
أحمد بن محمّد الكرني، 29
أحمد بن محمّد بن علي الأموي، 51
أسد بن الفرات، 15
الخليل بن أحمد الفراهيدي، 9، 32
القاضي ابن سراج الأندلسي، 60
محمّد بن علي اللخمي الشقوري، 36، 45، 61
المقريزي، 43
أم الحسن بنت القاضي الطنجالي، 29
جالينوس، 36
حسن بن محمّد بن حسن القيسي، 29
سعد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد التجيبي، 52
سعد بن يوسف بن علي الرعيني، 54
عبد الرحمن بن خلدون، 36، 51، 58، 65
عبد الرحمن بن عبد الملك الينشي، 53
عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي، 53
علي بن محمّد بن علي بن البنا، 54
علي بن يحيى الفزاري، 55
عيسى بن محمّد بن عيسى بن سعادة الأموي، 31
قاسم بن محمّد بن الجد العمري، 55
قاسم بن يحيى بن محمّد الزروالي، 55
لسان الدين ابن الخطيب،6، 19، 20، 22، 27، 28، 29، 30، 31، 35، 37، 38، 40، 44، 46، 47، 60، 61

محمّد بن محمّد بن جعفر بن مشتمل، 61
محمّد بن إبراهيم بن رويبل الأنصاري، 28
محمّد بن إبراهيم بن محمّد الأوسي، 32
محمّد بن أحمد الرقوطي، 29
محمّد بن أحمد بن خميس الأنصاري، 53، 54
محمّد بن أحمد بن عبد الله العطار، 53
محمّد بن أحمد بن قاسم الأمي، 54
محمّد بن خلف بن موسى الأنصاري، 30
محمّد بن سعيد بن يحيى الأنصاري، 53
محمّد بن عبد العزيز بن سالم بن خلف القيسي، 30
محمّد بن عبد الله بن فرتون الأنصاري، 54
محمّد بن عبيد الله بن منظور القيسي 59، 61، 53
محمّد بن علي بن خاتمة الأنصاري، 52
محمّد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري، 30
محمّد بن علي بن فرج القربلياني، 30
محمّد بن علي بن محمّد العبدري، 53
محمّد بن علي بن يوسف السكوني، 52
محمّد بن محمّد بن أحمد الأنصاري، 31
محمّد بن محمّد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمي، 52
محمّد بن محمّد بن محارب الصريحي، 52
محمّد بن محمّد بني علي بن سودة المري، 30
يحيى بن إبراهيم بن يحيى البرغواطي، 20
يحيى بن علي بن أحمد بن علي القيسي، 56
يوسف ابن نحمياس، 42

فهرس الأماكن

أرغون، 42
إسطنبول، 40
إشبيلية، 19، 38، 42، 53
إفريقيا، 27
إفريقية، 14، 15، 16، 39، 42، 43، 57
الإسكندرية، 27
الأندلس، 2، 3، 4، 5، 6، 7، 9، 14، 15، 16، 17، 19، 22، 24، 25، 27، 28، 30، 31، 32، 33، 35، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 48، 49، 51، 53، 56، 57، 58، 60، 61، 62، 63، 64، 68، 69
بجانة، 47، 53
بغداد، 40
البندقية، 27، 41
إلبيرة، 25، 26، 30، 52
الجزيرة الخضراء، 42، 53
الشام، 15، 27، 41، 68
الصين، 37، 40، 68
الغرب الإسلامي، 65، 66
القسطنطينية، 27
ألمرية، 22، 27، 31، 38، 41، 43، 47، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 64، 73
المغرب، 5، 6، 7، 15، 16، 17، 28، 42، 43، 60، 65، 68
أنطاكية، 40
أوروبا، 26، 27، 37، 41، 63، 68
إيطاليا، 27، 41، 68
برشانة، 23
برشلونة، 41، 42، 58
بلاد أزبك، 40
بلاد الحجاز، 15
بلش، 53
بلنسية، 19، 41، 42، 51، 64
تبريز، 20
تلمسان، 42، 51
تونس، 42، 51، 60، 64، 68
جبل شيلر، 20
جنوة، 27، 37، 41، 43، 68
جيان، 19
جيرونا، 58
حلب، 41
خراسان، 20
رندة، 20، 42
روما، 27

سردانية، 42
سمرقند، 20
سلا، 38
شاطبة، 26
شقورة، 30
شلب، 17
صقلية، 41
طليطلة، 26، 42
غرناطة، 6، 7، 19، 21، 25، 26، 27، 28، 29، 31، 32، 33، 51، 53، 54، 57، 68
فاس، 63
فالنسيا، 58
فرنسا، 26
قشتالة، 42
قمارش، 52
لوشة، 29، 31
مالقة، 20، 25، 26، 29، 42، 51، 52، 53، 54، 55، 62، 64
مرسية، 19، 26، 32، 54
مرسيليا، 41، 43
مصر، 15
مكة، 16
ميورقة، 42
نابولي، 41
وادي آش، 54
يابسة، 42

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أولا – المخطوطات:

البليوني محمّد بن فتح الله (ت1042هـ/1633م):

1- **خلاصة ما يحصل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون**، مخطوط بجامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ر:5605، ورقة 3.

القيسي أبو عمر محمّد بن منظور (ت750هـ/1349م):

2- **وصية الناصح الأود في التحفظ من المرض الوافد إذا وفد**، مخطوط بخزانة محمّد المنوني، الرباط، المغرب، د.ر.

ثانيا – الكتب:

ابن أبي زرع (ت726هـ/1326م):

1- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، تح: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، دط، أوبسالة، السويد، 1843.

ابن الأثير أبو الحسن عز الدين (ت633هـ/1233م):

2- **الكامل في التاريخ**، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج5، ج6، ج7، ج9.

ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات (ت606هـ/1209م):

3- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمّد الطناحي، المكتبة العلمية، دط، بيروت، لبنان، 1979، ج3.

ابن الأزرق شمس الدين محمّد بن علي (ت896هـ/1491م):

4- **بدائع السلك في طبائع الملك**، تح: علي سامي النشار، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2008، ج2.

ابن الخطيب أبو عبد الله محمّد لسان الدين (ت776هـ/1374م):

5- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تح: محمّد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، بنغازي، ليبيا، 2009.

6- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1937، ج4.

7- **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف**، ضمن: رحلات ابن الخطيب، تح: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2003.

8- **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تح: محمّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، مصر، 1980.

9- **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح: أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 2003.

10- **مقنعة السائل عن المرض الهائل**، ضمن: ثلاث رسائل في الطاعون، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013.

ابن الشماع أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت873هـ/1469م):

11- **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح: الطاهر بن محمّد المعموري، الدار العربية للكتاب، دط، تونس، 1984.

ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1089هـ/1678م):

12- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، لبنان، 1986، ج8.

ابن الفرضي عبد الله بن محمّد (ت403هـ/1113م):

13- **تاريخ علماء الأندلس**، تح: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1988، ج1.

ابن القاضي أبو العباس أحمد (ت1025هـ/1616م):

14- **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمّد الأحمدي أبو النور، دار التراث، ط1، القاهرة، مصر، 1971، ج1، ج2، ج3.

ابن القطان أبو الحسن المراكشي (ت628هـ/1231م):

15- **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، دم، 1990.

ابن القيم شمس الدين محمّد بن أبي بكر (ت751هـ/1350م):

16- **الطبّ النبوي**، تح: عبد الغني عبد الخالق، دار الفكر، دط، بيوت، لبنان، دت.

ابن الوردي زين الدين عمر (ت749هـ/1348م):

17- **تاريخ ابن الوردي**، تق: محمّد مهدي السيد حسن الموسوي، المطبعة الحيدرية، ط2، النجف، العراق، 1969، ج2.

ابن بشكوال أبو القاسم (ت578هـ/1182م):

18- **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، 1955.

ابن بطوطة شمس الدين محمّد بن عبد الله (ت779هـ/1377م):

19- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، الرباط، المغرب، 1997، ج4.

ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/1448م):

20- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، دط، بيروت، لبنان، 1379، ج1.

21- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تح: محمّد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، صيدر آباد، الهند، 1972، ج1.

22- **بذل الماعون في فضل الطاعون**، تح: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، دط، الرياض، المملكة العربية السعودية، دت.

ابن حزم أبو محمّد علي (ت456هـ/1064م):

23- **المحلى بالآثار**، تح: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، دت، ج3.

24- **طوق الحمامة في الألفة والألاف**، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، لبنان، 1987.

ابن خاتمة أحمد بن علي الأنصاري (ت770هـ/1369م):

25- **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**، ضمن: ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمّد (ت808هـ/1405م):

26- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح: خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 1988، ج1، ج7.

ابن سراج أبي القاسم بن سراج (ت848هـ/1444م):

27- **فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي**، تح: محمّد أبو الأجفان، المجمع الثقافي، ط2، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

ابن سعيد أبي الحسن علي بن موسى المغربي (ت658هـ/1286م):

28- **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1970.

ابن سينا الحسين بن عبد الله (ت428هـ/1037م):

29- **القانون في الطب**، تح: محمّد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999، ج3.

ابن قنفذ أبو العباس أحمد القسنطيني (ت810هـ/1407م):

30- **الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، لبنان، 1983.

ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (ت711هـ/1311م):

31- **لسان العرب**، دون محقق، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1994، ج13.

ابن موسى أبو الفضل عياض (ت544هـ/1149م):

32- **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح: يحي إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998، ج7.

الأزهري أبو منصور محمّد بن أحمد (ت370هـ/981م):

33- **تهذيب اللغة**، تح: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ج2.

الأنصاري زكرياء بن محمّد بن زكرياء (ت962هـ/1555م):

34- **منحة الباري بشرح صحيح البخاري**، تح: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ج4، ج9.

الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف (ت474هـ/1081م):

35- **المنتقى شرح الموطأ**، دم، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1332، ج7.

الجوهري أبو نصر إسماعيل (ت393هـ/1003م):

36- **الصحاح**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، لبنان، 1987، ج6.

الحموي ياقوت (ت574هـ/1178م):

37- **معجم البلدان**، دون محقق، دار صادر، ط2، بيروت، لبنان، 1995، ج2، ج3، ج4، ج5.

الحميري أبو عبد الله (ت900هـ/1495م):

38- **صفة جزيرة الأندلس**، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1988.

39- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن أحمد (ت748هـ/1347م):

40- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1993، ج30.

41- **الطبّ النبوي**، تح: أحمد رفعت البدراوي، دار إحياء العلوم، ط3، بيروت، لبنان، 1990.

الرازي محمّد بن أبي بكر (ت666هـ/1268م):

42- **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمّد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، لبنان، 1999.

الزبيدي محمّد مرتضى (1205هـ/1791م):

43- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، دط، الكويت، 1965، ج1.

السرمري جمال الدين يوسف بن محمّد (ت776هـ/1374م):

44- **كتاب فيه ذكر الوباء والطاعون**، تعليق: شوكت بن رفقي، الدار الأثرية، ط1، عمان، الأردن، 2004.

السلاوي شهاب الدين أحمد الناصري (ت1315هـ/1897م):

45- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح: جعفر الناصري، محمّد الناصري، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، المغرب، 1997، ج1.

الشقوري أبو عبد الله محمّد بن علي اللخمي (ت بعد 776هـ/1374م):

46- **النصيحة**، ضمن: ثلاث رسائل في الطاعون، تحقيق: محمّد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ط1، قرطاج، تونس، 2013.

العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الل (ت749هـ/1348م):

47- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، دون محقق، المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423، ج1، ج4.

العيني بدر الدين (ت855هـ/1451م):

48- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، دط، بيروت، لبنان، دت، ج14.

الغرناطي ابن لب (ت782هـ/1380م):

49- **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تح: حسن مختاري، هشام الرامي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004، ج2.

الفراهيدي الخليل بن أحمد البصري (ت170هـ/786م):

50- **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، بيروت، لبنان، دت، ج8.

الكرماني شمس الدين (ت786هـ/1384م):

51- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1937، ج21.

الكرمي مرعي بن يوسف (ت1033هـ/1624م):

52- **ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون**، تقديم: خالد العربي مدرك، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، لبنان، 2000.

المراكشي ابن عذاري (ق7هـ/13م):

53- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983، ج1، ج2.

المراكشي أبو عبد الله محمّد (ت703هـ/1304م):

54- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2012، ج4، ج5.

المقرب شهاب الدين أحمد بن محمّد (ت1041هـ/1632م):

55- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان، 1997.

المقريزي تقي الدين أبي العباس (ت845هـ/1441م):

56- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997، ج4.

المنبجي شمس الدين محمّد (ت785هـ/1383م):

57- **كتاب الطاعون وأحكامه**، تح: أحمد بن محمّد بن غانم آل ثاني، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2017.

المواق محمّد (ت897هـ/1492م)، الرصاع محمّد (ت894هـ/1489م):

58- **الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية**، تح: محمّد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2007.

59- مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2007.

60- مؤلف مجهول: **نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر**، تح: محمّد رضوان الداية، دار إحسان، ط1، دمشق، سوريا، 1404.

النباهي أبو الحسن المالقي (ت792هـ/1390م):

61- **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط5، ببيروت، لبنان، 1983.

الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1508م):

62- **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: محمّد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، دط، المغرب، 1981.

المراجع:

أولا – الكتب:

البزاز محمّد الأمين:

1- **تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دط، الرباط، المغرب، 1992.

بنعدادة آسيا وآخرون:

2- **المعرفة الطبية وتاريخ الأمراض في المغارب**، مؤسسة الملك عبد العزيز للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، دط، الرباط، المغرب، 2011.

بولقطيب الحسين:

3- **جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين**، منشورات الزمن، دط، المغرب، 2002.

بياض عبد الهادي:

4- **الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق 6-8 هـ/12-13 م)**، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 2008.

الزركلي خير الدين:

5- **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ج1، ج2.

الطوخي أحمد محمّد:

6- **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، مصر، 1997.

العامري محمّد بشير حسن راضي:

7- **فصول في إبداعات الطبّ والصيدلة في الأندلس**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان، دت.

العدوي أحمد:

8- **الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة الأموية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، قطر، 2018.

عنان محمّد عبد الله:

9- **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1997، ج1، ج4.

فرحات يوسف شكري:

10- **غرناطة في ظل بني الأحمر**، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1993.

مجموعة من العلماء:

11- **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999، ج15، ج18، ج27.

مجموعة مؤلفين:

12- **الأزمات والهشاشة بالمغرب مقاربات متقاطعة**، مطابع الرباط، دط، المغرب، 2019.

محمّد حسن:

13- **المدينة والبادية في العهد الحفصي**، اوربيس للطباعة، دط، تونس، 1999.

ثانيا – الأطروحات الجامعية:

بعلي زوبير:

1- **الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة (629-897 هـ/1232-1492 م) من خلال كتب النوازل والوثائق**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف: باقة رشيد، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2019.

حاجيات أحمد:

2- **مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية (635-897 هـ/1238-1492 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: سامية أبو عمران، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012.

عواجي عبده بن محمّد عبد القهار:

3- **علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية 635-897 هـ**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف: سعد بن عبد الله البشري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1998.

مزدور سمية:

4- **المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927 هـ/ 1192-1520 م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: محمّد الأمين بلغيث، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009.

المناجعة عيد صباح حمدان:

5- **المجاعات والأوبئة والأمراض والكوارث الطبيعية في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (92-897 هـ/ 711-1492 م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف: محمّد نايف العمايرة، جامعة مؤتة، الأردن، 2014.

ثالثا – المقالات:

أحمد نغم عدنان:

1- "المظاهر الاقتصادية والاجتماعية للأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة"، **مجلة التربية والعلم**، جامعة الموصل، العراق، مج19، ع1، 2012.

باروك خوليو قالديون:

2- "الوباء الأسود في عالم القرن الرابع عشر"، تع: إسحاق عبيد، **ابن خلدون والبحر المتوسط**، مكتبة الإسكندرية، دع، مصر، 2007.

الدوري رفاه تقي الدين عارف:

3- **الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر (629-897 هـ/1232-1492م)**، رسالة ماجستير في التاريخ، إشراف: طه الطراونة، جامعة مؤتة، الأردن، 1999.

السعداوي أحمد:

4- "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين الذي تلته القرنين 8-14/9-15م"، **مجلة إيبلا**، معهد الآداب العربية الجميلة، تونس، ع175، 1995.

السلمي إبراهيم بن عطية الله هلال:

5- "الطبّ العسكري الأندلسي من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثامن الهجري دراسة تاريخية"، **مجلة دراسات حوض النيل**، جامعة أم القرى، ع18، 2016.

شقرون الياقوت:

6- "المجاعات والأوبئة بمدينة فاس في العصر الوسيط"، **مجلة فكر العلوم الإنسانية والإجتماعية**، وزارة الثقافة، المغرب، ع15، 2016.

صاحبي سامي، سبقاقي مسعودة:

7- "العلوم النقلية والعقلية بالأندلس – عهد بني الأحمر – أنموذجا"، **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، جامعة الواد، الجزائر، مج03، ع01، جوان، 2019.

العاني رياض أحمد عبيد:

8- "الأحوال العامة في مملكة غرناطة (635-897 هـ/ 1237-1492م)"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، مج17، ع9، العراق، تشرين الأول، 2010.

العبادي أحمد مختار:

9- "الحياة الدينية والدنيوية في مملكة غرناطة الإسلامية"، **مجلة المؤرخ العربي**، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، ع6، بغداد العراق، دت.

10- "وباء الطاعون في بلاد المشرق"، **ابن خلدون والبحر المتوسط**، مكتبة الإسكندرية، دع، مصر، 2007.

لوثينا لويس سيكودي:

11- "وثائق غرناطية لم تنشر"، تع: محمود علي مكي، **مجلة المعهد امصري للدراسات الإسلامية**، مدريد، إسبانيا، ج4، ع1-2، 1956.

يماني رشيد:

12- "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة"، **المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية**، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، ع2، شتاء 2015.

13- "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري"، **دورية كان التاريخية**، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ع43، مارس، 2019.

رابعا – المواقع الإلكترونية:

1- منظمة الصحة العالمية: **"الطاعون"**، موقع منظمة الصحة العالمية، www.who.int/features/qa/plague/ar، تاريخ الإبحار: 9 فيفري 2020، الساعة 11:00 صباحا.

خامسا – الكتب المعربة:

آتشا بيدرو، تسيفيرس بريس:

1- **الأمراض الحيوانية المصدر والأمراض السارية المشتركة بين الإنسان والحيوانات**، تع: حسين عبد الرزاق الجزائري، منظمة الصحة العالمية إقليم الشرق الأوسط، ط3، القاهرة، مصر، 2006، ج1.

بيرن جوزيف:

2- **الموت الأسود**، تع: عمر سعيد الأيوبي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014.

جوتفريد روبرت س:

3- **الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى**، تع: أبو أدهم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2017.

واتس شلدون:

4- **الأوبئة والتاريخ المرض والقوة والإمبريالية**، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، مصر، 2010.

سادسا – المقالات الأجنبية:

Barry Stephane, Gualde Norbert:

1- "La Peste noir dans L'occident chrétien et musulman 1347-1353", **Bulletin canadien d'histoire de la médecin**, Canada, T:25, N2, 2008.

Renouard Yves:

2- "Conséquences et intérêt démographique de la Peste noire de 1348", **Institut national d'études démographiques**, France, N3, 1948.

Verlinden Charles:

3- "La grande peste de 1348 en Espagne. Contribution à l'étude de ses conséquences économiques et sociales", **Revue belge de philologie et d'histoire**, Bruxelles, Belgique, T:17, N1-2, 1938.

ملخّص الدراسة

ملخّص الدراسة:

شهد تاريخ الغرب الإسلامي، عدّة أوبئة وطواعين أليمت به، وأضعفت من مقوّماته الحضارية، وحصدت أعداد كبيرة من تركيبته السكّانية.

تأتي هذه الدراسة لتسلّط الضوء على جزء من تاريخ هذه الأوبئة، فتتناول بالبحث تاريخ الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر. مركّزة على طاعون سنة 749هـ/1348م الذي يعدّ من أشدّ الطواعين التي اجتاحت العالم الوسيط، حتّى سمّته المصادر بالطاعون الجارف أو الموت الأسود.

كما تسعى هذه الدراسة أيضا للبحث في مسبّبات هذا الطاعون وأعراضه، وماهيته، وكيف استطاع أن يجتاح مملكة بني الأحمر. ثمّ تتناول مواجهة الأطبّاء الأندلسيين له، والحلول التي قدّموها لعلاجه. وتختم الدراسة بذكر أهمّ الآثار الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة التي خلّفها طاعون سنة 749هـ/1348م على مجتمع الأندلس في عهد بني الأحمر.

Résumé de l'étude:

L'histoire des musulmans en occident a été témoin de multiples épidémies telles que la peste qui l'ont affligé, affaibli ses composantes civilisationnelles et qui a coûté la vie d'un grand nombre de sa structure démographique**.**

Cette étude met en évidence une partie de l'histoire de ces épidémies de sorte qu'elle examine celle de la peste en Andalousie à l'époque de Bani Al-Ahmar en se concentrant sur la peste de l'année 749 AH/1348 qui est considérée comme l'une des pestes les plus graves qui ont envahi le monde médiéval jusqu'à ce qui était appelée la peste dévastatrice ou la peste noire**.**

Cette recherche tente également à dévoiler la nature, les causes et les symptômes de cette peste et comment elle a réussi à se propager au royaume de Bani Al-Ahmar sans oublier la façon dont les médecins andalous l'ont affronté et les solutions apportées pour la combattre.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
الإهداء الأوّل	
الإهداء الثاني	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
المقدّمة	01
الفصل التمهيدي: الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر	
المبحث الأوّل: مفهوم الطاعون	09
المبحث الثّاني: الطاعون في الأندلس من الفتح إلى قبيل عهد بني الأحمر	14
الفصل الأوّل: أوضاع الأندلس على عهد بني الأحمر	
المبحث الأوّل: الأوضاع الاجتماعية للأندلس على عهد بني الأحمر	19
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للأندلس على عهد بني الأحمر	24
المبحث الثالث: وضعية الطبّ في الأندلس على عهد بني الأحمر	28
الفصل الثاني: اجتياح الطاعون للأندلس في عهد بني الأحمر	
المبحث الأوّل: أسباب اجتياح الطاعون للأندلس على عهد بني الأحمر	35
المبحث الثاني: موجة الطاعون في الأندلس خلال عهد بني الأحمر	40
المبحث الثالث: مواجهة أطبّاء الأندلس للطاعون في عهد بني الأحمر	44
الفصل الثالث: آثار الطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر	
المبحث الأوّل: ضحايا الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر	51
المبحث الثّاني: الآثار الاقتصادية والثقافية للطاعون على الأندلس في عهد بني الأحمر	56

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية للطاعون على بلاد الأندلس في عهد بني الأحمر	62
الخاتمة	67
الملاحق	70
فهرس الأعلام	74
فهرس الأماكن	77
قائمة المصادر والمراجع	80
ملّخص الدراسة	94
فهرس المحتويات	96